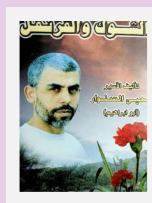

رواية الشوك و القرنفل، الوجه الآخر للسنوار

القبس

شهرية سياسية ثقافية رقمية، العدد الخاص (2) أكتوبر 2024

يحي السنوار

عاش ثائرا و مات شهيدا

FOULABOOK.COM

القبس

شهرية سياسية ثقافية رقمية

تصدر عن وكالة القبس للنشر الإلكتروني

ص ب: 42 أولاد موسى 35011
بومـرداس

الهاتـف
0662.20.73.78

إعتماد النسخة الورقية
رقم: 1009 ن ، ع 99

البريد الإلكتروني
Email:agcelqabasdz@gmail .com

مدير النشر و التحرير
محمد رباعـة

بسم الله الرحمن الرحيم

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم
و ينصركم عليهم و يشفي صدور قوم مؤمنين)
سورة التوبة الآية:14

يا فلسطين

إن في قلب كل مسلم من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم من محنتك عبرات هامية، وفي عنق كل مسلم لكي ـ يا فلسطين ـ حق واجب

الأداء ، وذمام متأكدة الرعاية .يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء و التراب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، و أن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، و إنك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء و الأرض صعودا، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا، وإليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينق الذلل بالفاتحين، تحمل الهدى و السلام، و شرائع الإسلام، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام ،ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويما من الإسلام عليك، و كانت الثالثة وردّا، و كانت النتيجة أن الإسلام طهّرك من رجس الرومان، كما طهّر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان. يا فلسطين ما بال هذه الطائفة تدّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل ـ بسفاهتها ـ وعد موسى بوعد بلفور و أن بينهما لمدا وجزرا من الأحداث، وجذبا ودفعا من الفاتحين . ما بالها تدّعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل، و لا غزو الرومان، و لا عادية الصليبيين، و إنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه،

الشيخ : البشير الإبراهيمي

في هذا العدد

موضوع الغلاف: يحي السنوار عاش ثائرا ومات شهيدا .....ص: 5
مقالات: كتائب القسام القوة الضاربة ،.....ص:6
الصحافة الغربية قراءة ثانية للحدث ص:8
هل كان قرار السنوار صائبا ؟..... ص: 10
ثقافة : رواية الشوك و القرنفل، فصول من النضال الفلسطيني ..
.....ص:12
السنوار أديبا و قائدا ص:14
رواية الشوك و القرنفل ، الوجه الآخر للسنوار ص:15
رحلة في كتاب: حماس الفكر و التجربة ص:16
حديث الروح: السنوار حالة إستثنائية في التاريخ ..... ص: 18

يحي السنوار

عاش ثائرا، و مات شهيدا

بقلم: محمد رباعـة

كانت **كانت أمنيته الغالية أن يموت شهيدا.. أن تغتاله إسرائيل بقذيفة أربي جي أو دبابة مجنونة ، أو طائرة مسيرة مبرمجة ... و نال الشهادة ... نال الثائر الفلسطيني البطل يحي السنوار الشهادة كما كان يتمناها .. نالها و هو يقاتل العدو الصهيوني وجها لوجه، كأي جندي مقاوم بسيط حتى أن المخابرات الصهيونية لم تكتشف أنه هو إلا بعد يوم كامل من إنتهاء المعركة.**

مات البطل يحي السنوار شهيدا و هو يقاتل العدو الصهيوني من داخل إحدى البنايات في حي السلطان بغزة الفلسطينية المقاومة ، قاتل العدو بشراسة الثائر البطل و لم يتراجع الى الوراء حتى لقي مصيره شهيدا من الشهداء العظام ، لم يكن كما تروج السردية الإسرائيلية يسير المعارك من تحت الأرض و في الأنفاق ، و لم يكن يختبئ داخل البنايات المحطمة و يتنقل بينها للتمويه و الفرار من القتل، أستشهد البطل و هو يواجة الآلة الصهيونية وجها لوجه بلباس المقاوم الفلسطيني الشهم الذي تمنى الشهادة في كل لحظة و سعى إليها ، كما يتنمى الصهيوني الحياة و الفرار من القتل .. يحي السنوار ليس الأول و لا الأخير من قادة المقاومة الفلسطينية الذين إستشهدوا في أرض المعركة ، أو اغتالتهم إسرائيل الجبانة غدرا و خيانة،و قد تظن إسرائيل أنها عندما تقتل القادة السياسيين أو العسكريين ، أنها بذلك تقتل المقاومة نفسها هيهات هيهات ،فالتاريخ يعلمنا أن الشعوب المظلومة و المقهورة التي تلد من رحمها المقاومة الشرسة للعدو المحتل، هي شعوب أمة ولادة تلد الأبطال و الثوار و الشهداء، و كلما استشهد بطل ولد بطل أخر ليستخلفه.

التهجير و المخيم

ولد يحي السنوار في 29 أكتوبر 1962 بمخيم خان يونس محافظة غزة الكبرى، ، بعدما هاجرت أسرته من مدينة مجدل عسقلان ، تلقى تعليمه في مدرسة المخيم ثم انتقل الى ثانوية خان يونس للبنين ، و منها الى الجامعة الإسلامية في غزة حيث بدأ النضال الطلابي و تدرج في المسؤوليات الى أن أصبح رئيسا لمنظمة الطلبة، تحصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية ، و كأي مواطن فلسطيني تعايش يحي السنوار مع ثلاثية التهجير ، المخيم ، النضال ، و إن كانت الأولى و الثانية قدر مفروض عليه من الإحتلال الإسرائيلي ، فالثالثة إختيار ضروري حر. إشتغل السنوار في مجلس الطلاب لمدة خمس سنوات، فكان أمينا للجنة الفنية، واللجنة الرياضية، ونائبًا للرئيس، ثم رئيسا للمجلس ثم نائبا للرئيس مرة أخرى.

البداية ... صيد العملاء

في سنة 1985 أسس يحي السنوار تنظيما شبه عسكري (مجد) بهدف صيد العملاء الفلسطينيين الذين يعتبرهم أول هدف يجب قنصه و تحييده قبل العدو الصهيوني ، و تمكن بالفعل رفقة زملائه من إكتشاف العديد من العملاء و اعتقالهم و محاكمتهم و إعدام الكثير منهم ، و في نفس الوقت عمل على متابعة ضباط الموساد و تتبع تحركاتهم في مدينة غزة ، و الحيلولة دون تنفيذ مخططاتهم بفضل عمليات تحييد العملاء.

الإنتفاضة الأولى

نشط يحي السنوار في الإنتفاضة الفلسطينية الأولى التي اندلعت في شهر ديسمبر سنة 1987 ، و كان في الصفوف الأولى من المناضلين الذين دعموا أطفال الحجارة الذين كانوا يقاومون جنود إسرائيل المدججين بالأسلحة الفتاكة ، بالحجارة ، و في سنة 1989 اعتقلته سلطات الإحتلال بتهمة تعذيب و قتل العملاء الفلسطينيين ، و المواطنين الإسرائيليين .

في السجن الإسرائيلي

عاش يحي السنوار داخل السجون الإسرائيلية مدة 23 سنة ، منها أربع (4) سنوات في زنزانة إنفرادية ، حيث حكمت عليه المحكمة الإسرائيلية بالسجن المؤبد أربع (4) مرات ،و لولا صفقة الجندي الإسرائيلي شاليط لبقي في السجن الى يومنا هذا، داخل السجن الإسرائيلي كثف السنوار من قراءاته فاستوعب اللغة العبرية لغة العدو جيدا ، وكان يتابع باستمرار القنوات الإسرائيلية ، و تمكن من دراسة المجتمع الإسرائيلي بشقيه الإجتماعي ، وقد استفاد يحي السنوار من تجربته المريرة في السفي السجن الإسرائيلي تعرض يحي السنوار في اكثر من مرة لإستنطاق من طرف المخابرات الإسرائيلية، جون الإسرائيلية التي تحولت عنده الى جامعة درس فيها طبيعة النظام الإسرائيلي و نفسية المسؤولين و نظرتهم الى الآخر الفلسطيني،كما تعرض لجلسات و حوارات مع خبراء في علم النفس العسكري، و في كل مرة تحاول المخابرات الإسرائيلية بكل الوسائل ، بالترهيب و الترغيب ، إكتشاف ما بداخل يحي السنوار ، ما هي مخططاته ... مشاريعه لو كان خارج أسوار السجون، و هي تدرك قبل صفقة شاليط أن عمر السنوار المحكوم عليه ثلاث مرات بالسجن المؤبد، سينتهي حتما داخل السجن، يحي السنوار الذي تصنفه

إسرائيل كأذكى مناضل فلسطيني ، ادرك بحاسته النضالية الفطرية ما تبحث عنه المخابرات الإسرائيلية الموساد و الشاباك، فكان يطمئن الجانب الإسرائيلي ان حركة حماس هي كما بدأت سنة 1987 حركة إجتماعية خيرية ثقافية همها الأول و الأخير هو الدعوة الإسلامية و تثقيف المجتمع الفلسطيني ، و مساعدة الفقراء و المساكين ماديا ومعنويا بالقدر المستطاع، و لماا أفرج عنه في صفقة شاليط سنة 2011 ، كان أول مشروع فكر فيه ونفذه هو الزواج من سيدة فلسطينية مناضلة و مثقفة ، ليثبت للعدو الصهيوني ما قاله لهم في السجن ،لأن الزواج بعد الخروج من السجن مباشرة، يعني أن الرجل أختار طريقا آخر غير طريق الكفاح المسلح و مقارعة إسرائيل ، و في الحقيقة كانت هذه الخطوة التي أقدم عليها يحي السنوار بعد خروجه مباشرة من السجن ، هي للتمويه فقط ، لتمويه الموساد و الشاباك ... في نفس السنة تقريبا 2011 اصبح عضوا في المكتب السياسي لحركة حماس ،مكلفا بالتنسيق بين الجناح السياسي و الجناح العسكري (كتائب عز الدين القسام) و بعد إنتهاء العدوان الإسرائيلي على غزة سنة 2014 ادرجته الولايات المتحدة الأمريكية و العديد من الدول الغربية الحليفة لإسرائيل ، ضمن القوائم السوداء للإرهابيين الدوليين ، الى جانب قيادات أخرى في الحركة، و في سبتمبر سنة 2017 أنتخب السنوار رئيسا لحركة حماس في محافظة غزة.

طوفان الأقصى

يعتبر يحي السنوار مهندس ملحمة 7 أكتوبر 2023 بشهادة المخابرات الإسرائيلية و الغربية و العربية،حيث قاد من تحت الأرض و من فوقها، و من الأنفاق العجيبة معركة طوفان الأقصى باقتدار و إحترافية ، و عجزت طيلة سنة كاملة إسرائيل بمساعدة المخابرات الحليفة من العثور عليه، قد حدد السنوار في البداية أهداف ملحمة طوفان الأقصى التي أسفرت عن قتل أكثر من 1200 إسرائيلي ، و أسر 250 من بينهم ضباط كبار و جنرالات عاملين و متقاعدين في الجيش الإسرائيلي ، و من غنائم المعركة وحدات كومبيوتر و أجهزة إلكترونية تحتوي بداخلها على معلومات و مستندات أمنية ثمينة، ب:

- تبييض السجون الإسرائيلية ، و إبرام صفقة العمر مع الكيان الإسرائيلي المحتل.

- إعادة القضية الفلسطينية الى واجهة الأحداث العالمية الكبرى ، لتكون العنوان رقم واحد ، و لتنتبه الشعوب و أحرار العالم لما يحدث للشعب الفلسطيني من محاصرة و قتل و تشريد على يد عصابات بني صهيون .

- توقيف مسلسل التطبيع الذي كان سيجرف المملكة العربية السعودية ، و عدة دول إسلامية أسيوية.

و قد تحقق بعون الله الهدف الثاني و الثالث من أهداف معركة طوفان الأقصى، بحيث أصبحت قضية فلسطين و الحرب ألإسرائيلية على غزة هي العنوان رقم واحد في وسائل الإعلام العالمية و في أجندات الدول و الحكومات الغربية خاصة، و في الربيع الماضي إندلعت موجات حراك سياسي في أغلب الجامعات الأمريكية و الغربية ، تطالب بإيقاف الحرب على غزة و

طوال مدة سنة كاملة ظلت السردية الإسرائيلية ، تكرر على مسامع الرأي العام العالمي، أن يحي السنوار المطلوب رقم واحد للمخابرات الإسرائيلية، يعيش داخل الأنفاق ، وينتقل رفقة عائلته من نفق الى نفق ، و أحيانا أخرى تؤكد أنه يحتمي بالأسرى الإسرائيليين،

الإعتراف بالدولة الفلسطينية، و قد توقف قطار التطبيع مع الكيان الصهيوني مؤقتا في المحطة السعودية ، و أصبح الكلام عنه مهزلة لا تستطيع الحكومات العربية مجرد الإشارة إليه ، وهذه مكاسب عظيمة للقضية الفلسطينية ، لأن الأجيال و شاب أمريكا و أوروبا الذين خرجوا في تلك المظاهرات ، ستكون في المستقبل القريب هي النخب السياسية و العسكرية الحاكمة في أمريكا و أوروبا، و بالتالي فستسقط السردية الإسرائيلية حتما في الماء، و لن تبقى إسرائيل دوما فوق و/ أو خارج القانون الدولي ، كما أن الأنظمة العربية و الإسلامية التي تنتظر دورها في التطبيع مع

العدو الإسرائيلي ، ستفكر ألف مرة قبل الإقدام على هذه الخطوة الجبانة،

السنوار الكاتب و الروائي و الشاعر

الشهيد يحي السنوار ، ليس مناضلا و ثائرا فقط، فهو منذ البداية ، منذ تخرجه من الجامعة الإسلامية بغزة امتلك ناصية اللغة العربية و درس و تعمق في الأدب العربي قديما وحديثا ، تنظيرا و إبداعا، و في السجون الإسرائيلية تعلم اللغة العبرية و تعمق في دراسة النظام الإسرائيلي المحتل ، فتمكن من ترجمة بعض الكتب العبرية المهمة الى اللغة العربية ، منها (الشاباك بين الأشلاء) ل:كارمي جيلون و (الأحزاب الإسرائيلية عام 1992) وكتب رواية الشوك و القرنفل التي استعرض فيها جزءا كبيرا من الحياة النضالية للفلسطينيين في مواجهة المحتل الإسرائيلي ، و كتاب (حماس التجربة و الخطأ) و يبدو من خطاباته انه مثقف من الطراز الأول ، و انه يملك خلفية فكرية إسلامية محترمة، و في أحدى خطاباته رأيناه بدأ بقراءة قصيدة قصيرة من الشعر الحر ، تبدو و كأنها من تأليفه .

الشهادة

طوال مدة سنة كاملة ظلت السردية الإسرائيلية ، تكرر على مسامع الرأي العام العالمي، أن يحي السنوار المطلوب رقم واحد للمخابرات الإسرائيلية، يعيش داخل الأنفاق ، وينتقل رفقة عائلته من نفق الى نفق ، و أحيانا أخرى تؤكد أنه يحتمي بالأسرى الإسرائيليين، و في أكثر من مناسبة قال ضباط من الجيش الإسرائيلي أنهم صادفوا وجود السنوار في النفق و لكنهم تجنبوا قتله خشية أن يكون محاطا بالأسرى الإسرائيلين .. لكن أثبتت الأيام كذب و بطلان السردية الإسرائيلية ، واكتشف العالم زيف الإدعاءات الصهيونية... فالرجل المقاوم ..البطل الذي تمنى الشهادة في سبيل الله و طلبها أمام الملاء، أستشهد و هو يقاتل الجنود الصهاينة ، و مات كما تمنى بقذيفة من دبابة إسرائيلية .. مات السنوار شهيدا و شاهد العالم موتته تحت سقف هدمته إسرائيل على ساكنيه في حي تل السلطان بغزة المجاهدة... طلبت الشهادة يا سنوار فنلتها فسلام عليك في الخالدين و جنة النعيم .

م/ رباعة

كتائب القسام

القوة الضاربة

تائب عز الدين القسام هي الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وهي أقرب إلى الجيش المنظم بما تمتلكه من قدرة قتالية عالية وخبرات علمية في مجال تطوير الأسلحة وتصنيعها.

التأسيس والنشأة

كانت البذور الأولى لكتائب القسام عام 1986 قبل الإعلان عن انطلاق حركة "حماس"، ويعد صلاح شحادة المؤسس لأول جهاز عسكري للحركة عرف باسم "المجاهدون الفلسطينيون"، ثم صار يحمل اسم "كتائب عز الدين القسام" في أواسط 1992. وتقول القسام إن علاقتها مع حماس علاقة "تكامل تنظيمي وانفصال ميداني" إذ تعد جزءا من هيكلها وتشارك في صنع القرار فيها والتوجيه وفق أنظمتها الداخلية، لكنها تنفصل عنها في "الجوانب العملية المختصة بالعمل العسكري".

التوجه الأيديولوجي

تتبنى كتائب القسام التوجه الإسلامي السني، وتعتبر الجهاد والمقاومة الوسيلة الأنجع لاسترداد الحقوق وتحرير الأرض، ومن أهدافها وثوابتها تحرير كل فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي. تقول الكتائب عن نفسها "تحرير فلسطين هو هدفنا والمقاومة وسيلتنا، والقدس عاصمتنا، واللاجئون هم أهلنا وشعبنا وعودتهم حق وواجب، والأسرى هم أبطال فلسطين وشموع الحرية وتحريرهم هو رأس أولويتنا مهما كلفنا ذلك من ثمن، هذه ثوابتنا التي لا يمكن أن نساوم عليها، والحقوق لا تسقط بالتقادم، على هذا انطلقنا، وعليه نمضي". وتعتبر أن "معركتها مع الصهاينة لأنهم احتلوا فلسطين وليس ليهوديتهم"، وأن المقاومة انطلقت ردا على الاحتلال، "الذي لا يفهم إلا لغة القوة ولا يردعه إلا المقاومة". وتقول القسام إن نطاق عملها يقع ضمن حدود فلسطين التاريخية، التي تمتد من رأس الناقورة شمالا إلى بلدة أم الرشراش جنوبا، ومن نهر الأردن شرقا إلى البحر الأبيض المتوسط غربا، وتبلغ مساحتها 27 ألف كيلومتر مربع، وعاصمتها القدس. وتعبر القسام عن قبولها بالتحرير المرحلي لأجزاء من فلسطين، وأنها تقبل "التهدئة والهدنة المرحلية المؤقتة" للتخفيف من معاناة شعبها وتعتبرها استراحة محارب، دون التفريط بالثوابت ولا الاعتراف بإسرائيل. تولى صلاح شحادة قيادة الجهاز العسكري الأول إلى أن اغتالته إسرائيل في 23 يوليو/تموز 2002 بقصف جوي لحي الدرج في قطاع غزة. ومن أبرز قادة الكتائب محمد الضيف وأحمد الجعبري، اللذان وضعتهما إسرائيل على رأس قائمة المطلوبين. استشهد الجعبري في نوفمبر/تشرين الثاني 2012 بغارة إسرائيلية على سيارة كان يستقلها. وكان يعتقد على نحو واسع في فلسطين أنه هو القائد العام الفعلي لكتائب القسام في ظل أحاديث عن إصابة القائد الأعلى للمجلس العسكري محمد الضيف بالشلل التام نتيجة قصف إسرائيلي تعرض له قبل سنوات في حي الشيخ رضوان شمال مدينة غزة. لا يعرف رقم محدد لعدد عناصر كتائب عز الدين القسام، لكن المتحدث باسمها أبو عبيدة قال في حوار مع الجزيرة نت في ديسمبر/كانون الأول 2012 إن عدد جنود القسام يناهز العشرين ألفا، وإنها تعتمد على أكبر من هذا العدد، وأوضح أنه ليس من سياسة الكتائب الإعلان عن التفاصيل التي تتعلق بهيكليتها وقيادتها وعدد أفرادها.وأكد أبو عبيدة أن كتائب القسام موجودة في كل فلسطين، في قطاع غزة وفي الضفة الغربية. وتعتمد الكتائب التصنيع المحلي، ويصنع مهندسوها صواريخ محلية أبرزها "القسام 1"، و"القسام2" و"القسام3"، الذي يتجاوزمداه 15 كيلومترا. في آخر يناير/كانون الثاني 2015، أصدرت محكمة مصرية حكما اعتبرت فيه كتائب عز الدين القسام "تنظيما إرهابيا"، وهو الحكم الذي استنكرته الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية. وقد وصفت تلك الأجنحة في بيان مشترك الحكم بأنه قرار ظالم "لا يصب في مصلحة الفلسطينيين والمصريين على حد سواء، ولا ينسجم مع الدور المأمول من مصر في رعاية الملفات ذات العلاقة بالمقاومة الفلسطينية حاضرا ومستقبلا". أما حركة حماس فاعتبرت الحكم "مسيسا ويخدم إسرائيل في المرتبة الأولى"، وقال أحد قياديها "بعد قرار المحكمة إن مصر لم تعد وسيطا في الشؤون الفلسطينية الإسرائيلية".

العمليات العسكرية

نفذت كتائب عز الدين القسام عددا من العمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي بمختلف أشكال المقاومة، وتبنت عددا من العمليات الاستشهادية. وقد كان من أبرز ما صنعته نماذج من طائرة بدون طيار (أبابيل) الأولى استطلاعيا، والثانية هجوميا، حلقت واحدة منها فوق وزارة الدفاع الإسرائيلية، في بدايات تشغيلها، واستخدمت القسام هذا النوع من الطائرات في معركة "طوفان الأقصى" في أكتوبر/تشرين الأول 2023.كما قصفت تل أبيب وحيفا ومفاعل ديمونا بصواريخ محلية الصنع، واقتحمت معسكرات الاحتلال عن طريق الغوص تحت البحر. يقول أبو عبيدة في حواره مع الجزيرة نت إن العمليات الاستشهادية وغيرها ستبقى من وسائل المقاومة المتاحة، ولن تسقطها الكتائب من حساباتها. وفي 4 أكتوبر/تشرين الثاني 1993 قاد أحد عناصر القسام سيارة مفخخة لاستهداف حافلة عسكرية إسرائيلية تنقل جنودا من القوات العسكرية إلى مقر قيادة جيش الاحتلال بالقرب من "بيت إيل" شمال مدينة رام الله، وفجر سيارته بعد أن استطاع تخطي كل الحواجز العسكرية وقتل 3 جنود وجرح 30 آخرين. ومع انتفاضة الأقصى (الانتفاضة الثانية) أطلقت القسام سلسلة عمليات "العهدة العشرية"، ونفذها عشرة فدائيين بداية من عام 2001، أسفرت عن مقتل 30 إسرائيليا، وكانت ردا على العدوان الإسرائيلي بالقتل وهدم البيوت.وفي الأول من يونيو2001 فجر سعيد الحوتري "ملهى الدلافين" على شاطئ تل أبيب، وقتل في التفجير 21 إسرائيليا وأصيب أكثر من 120. ومن أبرز العمليات الفدائية عملية نفذتها الكتائب يوم 27 مارس/آذار 2002 في نتانيا شمال إسرائيل، والتي أدت إلى مقتل 19 إسرائيليا وجرح أكثر من 120 آخرين. وفي 14 يناير/كانون الأول 2004 تمكنت ريم الرياشي -أول فدائية تجندها القسام- من الدخول إلى معبر بيت حانون وتفجير نفسها وسط مجموعة من جنود المعبر، وقتل في العملية 4 جنود وأصيب 10 آخرون. وفي 31 أغسطس/آب 2004 من العام نفسه، خططت القسام لعملية أسمتها "بئر السبع" المزدوجة، حيث استهدفت حافلتين تابعتين لشركة "مترو دان"، قتل على إثرها 17 إسرائيليا وأصيب مئة، وأعلنت الكتائب أن العملية كانت ردا على اغتيال أحمد ياسين مؤسس حركة حماس والقيادي فيها عبد العزيز الرنتيسي. وفي 18 يناير/كانون الثاني 2005 استهدفت القسام عبر فدائي لها مستوطنة "غوش قطيف" العسكرية جنوب قطاع غزة، وأسفرت عن مقتل ضابطين أحدهما رفيع المستوى، مع إصابة 7 جنود، وأطلقت الكتائب عليها اسم "ثقب في القلب"، إذ استطاعت الدخول إلى قلب الموقع العسكري.

ألوية الناصر صلاح الدين وكتائب شهداء الأقصى) استهدفت القسام معبر المنطار (كارني) شرق غزة، وأطلق على العملية اسم "زلزلة الحصون"، وأسفرت عن مقتل سبعة جنود وإصابة آخرين يوم 13 يناير/كانون الثاني 2005.وفي 19 أبريل/نيسان 2008 استشهد ثلاثة فلسطينيين وأصيب 13جنديا إسرائيليا في عملية فدائية نفذها عناصر من المقاومة الفلسطينية مستهدفين بسيارات مفخخة قوات إسرائيلية تشرف على مراقبة معبر في جنوب قطاع غزة. وقد استشهد الفلسطينيون الثلاثة في المواجهات التي اندلعت في معبر كرم أبو سالم بين عناصر المقاومة والقوات الإسرائيلية، بعد أن فجر ناشطون ثلاث سيارات مفخخة مستهدفين الجنود الإسرائيليين الذين يراقبون المعبر الفاصل بين غزة وإسرائيل.

يوم 20 يوليو/تموز 2014 ومع بدء الاحتلال عدوانه على غزة بالقصف الجوي، عبرت عناصر القسام نفقا يبلغ طوله 3 آلاف متر، واستطاعت إيقاع دورية عسكرية إسرائيلية في كمين نصبته في موقع 16 العسكري، وقتلت 5 جنود بينهم قائد كتيبة، فيما استشهد 11 من عناصر القسام بعد أن كشف موقعهم.

يوم الثلاثاء 8 يوليو/تموز 2014 قامت وحدة خاصة من كتائب القسام، في ثاني أيام العدوان على قطاع غزة، بعملية عسكرية أسمتها "عملية زيكيم" واقتحمت خلالها القاعدة البحرية الإسرائيلية مقابل موقع زيكيم العسكري، وقصفتها بصواريخ كاتيوشا.

وأكدت القسام أن الهجوم أوقع العديد من القتلى والجرحى في صفوف قوات الاحتلال، إلى جانب تدمير آليات عسكرية. وكان للكتائب دور كبير في ردع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. وقد طوّرت عملياتها في مواجهة العدوان الثالث على القطاع في صيف 2014، فخاضت معركة برية عبر الأنفاق واستخدمت أسلحة نوعية. وساهمت في مواجهة الاحتلال في عدة معارك مع فصائل المقاومة في قطاع غزة، منها معركة وفاء الأحرار عام 2006 ومعركة الحساب المفتوح ومعركة الفرقان عام 2008، ومعركة حجارة السجيل عام 2012 ومعركة العصف المأكول عام 2014 ومعركة سيف القدس عام 2021.

حرب الأنفاق

وشاركت القسام ونسقت عدة عمليات استهدفت أنفاقا، منها ما كانت خلال انتفاضة الأقصى في 26 سبتمبر/أيلول 2001، حينما فجرت الكتائب عبوة كبيرة أسفل موقع ترميد العسكري الإسرائيلي قرب بوابة صلاح الدين في رفح على الحدود المصرية الفلسطينية. وتمت العملية داخل الشريط الحدودي

تتبنى كتائب القسام التوجه الإسلامي السني، وتعتبر الجهاد والمقاومة الوسيلة الأنجع لاسترداد الحقوق وتحرير الأرض، ومن أهدافها وثوابتها تحرير كل فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي. تقول الكتائب عن نفسها "تحرير فلسطين هو هدفنا والمقاومة وسيلتنا، والقدس.

الفاصل بين مصر وقطاع غزة، واستهدفت عمارة من ثلاث طوابق كان يقطنها عدد من الجنود الإسرائيليين، عن طريق حفر نفق طوله 150 مترا مفخخ بكمية كبيرة من المتفجرات. وفي 13 ديسمبر/كانون الأول 2001 تمكنت القسام من تفجير موقع "حردون" العسكري (برج مراقبة) في حي بينا برفح، والذي يقع على الحدود الفلسطينية المصرية، فتدمر الموقع وقتل وأصيب من بداخله. واستهدف الموقع بنفق بلغ طوله 200 متر. وفي 27 يونيو/حزيران 2004 قالت القسام إها حفرت نفقا بلغ طوله 495 مترا انطلاقا من منطقة آمنة حتى وصلت إلى نقطة تقع أسفل حاجز "أبو هولي" (المحفوظة) شمال خانيونس، وبدأت

بالحفر أسفله على عمق 7 أمتار تحت الأرض حتى وصل إلى عمق 80 سنتيمترا تحت مستوى الموقع العسكري. ووزعت القسام عبوات التفجير إلى ثلاثة أفرع وملأتها بمئات العبوات شديدة الانفجار.

أبرز عمليات الأسر

يعد أسر الجنود الإسرائيليين والعمليات الاستشهادية من أقوى أسلحة الردع لدى القسام. ومن أبرز الأسرى الذين أسرتهم وشاركت بأسرهم الرقيب آفي سابورتس من منطقة جولس عام 1988، وإيلان سعدون عام 1989 الذي قتل ولم تجد إسرائيل جثته إلا بعد 7 أعوام. ثم في عام 1992 أسرت آلون كرفاتي وقتلته، وبعدها نسيم طوليدانو من داخل الخط الأخضر، "ورأيتني أدور في زنزانة لأول مرة أدخلها ورجع بي شريط الذكريات لماذا أتواجد هنا، والمنافقون يأكلون ويرتعون ويتمتعون، وعلمت أنني بدأت أدفع ثمن الكلمة التي قلتها، وخلعت إمامتي ووضعتها وسادة تحت يدي، وخلعت جبتي وافترشتها على بلاط الزنزانة رقم 19 في معتقل القلعة، ومرت ساعات الليل وأنا أذكر الله، الذين اطمأنت قلوبهم ألا بذكر الله تطمئن القلوب".

في 11 أكتوبر/تشرين الأول 1994 تمكنت القسام من أسر نحشون مردخاي فاكسمان واقتادته لمنزل في قرية بير نبالا بالضفة، وكان الهدف تحرير أحمد ياسين، لكن قوات الاحتلال استطاعت اقتحام المقر في محاولة لتحريره، وأدت العملية في النهاية لقتل الأسير وقائد الوحدة المقتحمة مع جندي وإصابة 20 جنديا إسرائيليا. وفي عام 2005 تمكنت القسام من أسر عضو في جهاز الشاباك الإسرائيلي ساسون نوائيل، ردا على عمليات الاعتقال العشوائية في الضفة، قبل أن يقتل في النهاية. ومن أبرز عمليات الكتائب قيامها -مع ألوية الناصر صلاح الدين التابعة للجان المقاومة الشعبية وجيش الإسلام- بأسر الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط في 25 يونيو/ حزيران 2006، بعد مهاجمة موقع للجيش الإسرائيلي قرب حدود قطاع غزة. وقد احتفظت كتائب القسام بالجندي حيا حتى إتمام صفقة تبادل الأسرى في أكتوبر2011، التي تم بموجبها الإفراج عن ألف أسير فلسطيني. وفي عام 2014، أسرت كتائب القسام أربعة إسرائيليين وهم: شاؤول آرون (جندي)، هدار غولدن (جندي)، أفيرا منغستو (مسرح من الخدمة العسكرية)، هشام السيد (متطوع في الجيش تم تسريحه). في 7 أكتوبر2023 أطلقت فصائل المقاومة بقيادة كتائب عز الدين القسام معركة "طوفان الأقصى"، واقتحم أكثر من ألف مقاتل منها مستوطنات غلاف غزة وسيطروا عليها وعلى المراكز العسكرية الإسرائيلية فيها. وعلى إثر هذه العملية قتل أكثر من 1300 إسرائيلي -بينهم جنود وضباط- وأسرت المقاومة عشرات الإسرائيليين أيضا، بينهم ضباط برتب عالية وجنود .

الصحافة الغربية
قراءة ثانية للحدث

مجلة أمريكية: مقتل السنوار لن يقضي على ‘‘حماس’’ بل سيزيد مقاومتها ضراوة

أكد مقال بعنوان ‘‘السنوار مات.. حماس على قيد الحياة إلى حد كبير’’ في مجلة ‘‘فورين بوليسي’’ أن قتل إسرائيل رئيسَ المكتب السياسي لحركة حماس يحيى السنوار لن يزيد الحركة إلا ضراوة، وبينما قد يبدو الأمر إنجازا كبيرا اليوم، إلا أنه مع مرور الوقت، سينهض مكانه آخرون، كما هو الحال دائما، وستستمر المقاومة.كان السنوار يرغب أن لا يموت ميتة طبيعية، بل بقذيفة دبابة على أرض المعركة، معتقدا أن ذلك سيقوّي المقاومةوقال كاتب المقال، المتخصص في شؤون الشرق الأوسط ستيفين كوك، وهو كاتب عمود في المجلة، إن التاريخ يشهد على ‘‘استحالة القضاء على حركة مقاومة’’ بقتل أعضائها، ولن يردع ‘‘أصحاب القضية’’ قتل قادتهم، بل سيؤدي بهم إلى مضاعفة جهودهم نحو تحقيق أهدافهم.وشدد الكاتب على أن المقاومة ليست مشروعا ‘‘عقيما’’، بل ‘‘جزء أساسي من هوية من ينتسب إليها’’، ولهذا السبب بالتحديد، كان السنوار يرغب أن لا يموت ميتة طبيعية، بل بقذيفة دبابة على أرض المعركة، معتقدا أن ذلك سيقوّي المقاومة.وحذر الكاتب الإسرائيليين من أن ينشغلوا بالاحتفال وتوزيع الحلوى عن الواقع، وخاطبهم متسائلا: ‘‘أتذكرون أبرز مؤسسي حماس أحمد ياسين، أو القيادي الفلسطيني خليل الوزير (أبو جهاد)؟ ماذا عن الأمين العام السابق لحزب الله عباس الموسوي، أو مؤسس حركة الجهاد الإسلامي فتحي الشقاقي؟ لقد كانوا بمنزلة وحوش لإسرائيل في السابق، واستطاعت اغتيالهم كلهم، ولكن المقاومة استمرت’’. وذكر أنه بعد أن قتل الإسرائيليون الموسوي عام 1992، حوّل حسن نصر الله الجماعةٍ إلى أكثر الجهات غير الحكومية تسليحا في العالم. وقد اغتالت إسرائيل نصر الله بعدها، لكن حزب الله مازال موجودا.وأضاف: ‘‘بقدر براعة الإسرائيليين في الثأر لدماء قتلاهم، إلا أنهم لم ينجحوا قط في وضع نهاية حقيقية للمقاومة طوال العقود الماضية، فما الذي يجعلهم يظنون أن قتلهم السنوار سيؤدي إلى نتيجة مختلفة هذه المرة؟’’.وبرأي الكاتب، فإن قتل مقتل السنوار نكسة مريرة لحركة حماس، وسيترك مقتل السنوار تأثيرا كبيرا على الديناميكيات الداخلية للحركة، ولكن أيضًا على استراتيجيتها في الأشهر المقبلة، موضحا أنه على الرغم من هذا النجاح الذي حققته القوات الإسرائيلية إلا أن مسألة القضاء على حركة حماس لم تتحقق بعد،كما أن الحركة لاتزال تسيطر على قطاع غزة،

ويرى الجنرال نيكولا ريشو، الضابط الفرنسي السابق أن حماس لا تملك اليوم سوى القليل من القدرات الدفاعية، وإذا كانت تمتلك جيشا حقيقيا قبل السابع من أكتوبر، وقادة سياسيين وعسكريين ومخزونات من المعدات والذخيرة، فإن ما تبقى من هذه العناصر اليوم سيكون منهكا للغاية

لوجورنال دوديمانش الأسبوعية: ديبلوماسية متوترة بين فرنسا وإسرائيل

أشارت الصحيفة إلى أن الأزمة الدبلوماسية إسرائيل السنوار لن يكسر حماس، بل سيشعل الغضب والرغبة في الانتقام بقلوب أعضائها.بقدر براعة الإسرائيليين في الثأر لدماء قتلاهم، إلا أنهم لم ينجحوا قط في وضع نهاية حقيقية للمقاومة طوال العقود الماضيةوذكر أنه بعد التأكد من وفاة السنوار، قام بمراسلة صديقين إسرائيليين له يعيشان بين تل أبيب والقدس، لديهما ابن يخدم حاليا في الجيش الإسرائيلي. وفي الرد شبه الفوري الذي تلقاه منهما، شعر بإحساس عميق بالقلق والحزن: ‘‘الآن نحن بحاجة إلى عودة الرهائن ثم إلى نوع من السلام. أريد أن يعود ابني إلى المنزل’’. وشدد الكاتب على أن قيام إسرائيل بقتل السنوار يبدو وكأنه إنجاز كبير اليوم، ولكن مع مرور الوقت، سوف ينهض آخرون، كما فعلوا دائما، لمواصلة المقاومة وكتب أن ‘‘المقاومة في نهاية المطاف ليست عديمة الجدوى. إنها عنصر حاسم في الهوية. ولهذا السبب أراد السنوار أن يموت بقذيفة دبابة إسرائيلية وليس بسكتة دماغية. كان يعتقد، مع وجود أدلة كثيرة، أن موته العنيف سيكون مصدر إلهام لمزيد من المقاومة’’.

من بين المواضيع التي تناولتها المجلات الفرنسية هذا الأسبوع موقف اللاجئين الفلسطينيين في لبنان من الوضع في غزة،وتساؤلات حول مستقبل حركة حماس بعد مقتل يحيى السنوار ،إضافة إلى دور الجالية العربية والمسلمة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة

لوموند: في لبنان، الفلسطينيون لم يعد لديهم ما يخسرونه

نقلت الصحيفة أن ممثلي التيارات الفلسطينية المختلفة في مخيم البداوي للاجئين الفلسطينيين شمال لبنان يتفقون على الرغبة المشتركة في مقاومة إسرائيل بعد مقتل زعيم حركة حماس يحيى السنوار، ويقول مصطفى من مخيم البداوي للصحيفة "إن السنوار مات كما أراد، مقاتلا ولم يكن مخبأ تحت الأرض مضيفا أن اللاجئين في المخيم يحترمون السنوار لأنه قدم الكثير للقضية الفلسطينية "حسب تعبيره أما شادي مرزوق، القيادي المحلي في كتائب شهداء الأقصى المرتبطة بحركة فتح، فيرى أن يحيى السنوار مثله مثل كل الشعب الفلسطيني، لكن حماس تقاتل من أجل كل الفلسطينيين ". مضيفا ان ‘‘عملية ‘‘طوفان الأقصى’’ كانت خطوة في الطريق الصحيح .

مجلة ليكسبريس: هل تستطيع حماس النهوض مجددا بعد مقتل يحيى السنوار؟

اعتبر هوغ لوفات في شؤون الشرق الأوسط في المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية أن مقتل السنوار نكسة مريرة لحركة حماس، وسيترك مقتل السنوار تأثيرا كبيرا على الديناميكيات الداخلية للحركة، ولكن أيضًا على استراتيجيتها في الأشهر المقبلة، موضحا أنه على الرغم من هذا النجاح الذي حققته القوات الإسرائيلية إلا أن مسألة القضاء على حركة حماس لم تتحقق بعد،كما أن الحركة لاتزال تسيطر على قطاع غزة،

ويرى الجنرال نيكولا ريشو، الضابط الفرنسي السابق أن حماس لا تملك اليوم سوى القليل من القدرات الدفاعية، وإذا كانت تمتلك جيشا حقيقيا قبل السابع من أكتوبر، وقادة سياسيين وعسكريين ومخزونات من المعدات والذخيرة، فإن ما تبقى من هذه العناصر اليوم سيكون منهكا للغاية

تفاقمت في الأيام الأخيرة بين باريس وتل أبيب، وعلى الرغم من أن فرنسا لا تملك أي تأثير حقيقي على الوضع في الشرق الأوسط، إلا أن صدى صوتها لا يزال يتردد في هذه المنطقة، وأضافت أن التوتر بين البلدين ومواقف الرئيس الفرنسي المختلفة من الوضع في غزة ولبنان لا يلعب أي دور في خيارات رئيس الوزراء الإسرائيلي العسكرية والسياسية ويوضح الصحفي غيغوليه غوز إن إسرائيل لا تستمع لأحد عندما يتعلق الأمر بأمنها، ولا حتى للولايات المتحدة الأمريكية التي تعد الطرف الآخر في الحرب لأنها المورد الرئيسي للأسلحة

مجلة لوبوان: في ميشيغان، كامالا هاريس تدفع ثمن دعمها لإسرائيل

أشارت مراسلة لوبوان إلى أن أصوات الجالية العربية والمسلمة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة يمكن أن تكون حاسمة في ولاية ميشغان، التي تضم أكثر من ثلاثمئة ألف شخص من العرب والمسلمين، وميشيغان نقرأ في لوبوان ولاية رئيسية، وهي واحدة من الولايات الست التي يمكن للأغلبية فيها أن تتأرجح إلى جانب أو آخر، وبالتالي تحديد نتيجة الانتخابات الرئاسية. يوضح جيمس زغبي، رئيس المعهد العربي الأمريكي أن الشرق الأوسط لم يكن أبدا من بين المواضيع الأكثر أهمية في الانتخابات الأمريكية، لكن هذه المرة، لا يزال ضمن المراكز الثلاثة الأولى، وذلك لأول مرة منذ عام 1994

الإندبندنت :

هل يمكن أن يؤدي مقتل يحيى السنوار إلى إنهاء حرب إسرائيل في غزة ؟

تساءلت صحيفة الاندبندنت البريطانية، عن ما إذا كان حدثا ضخما مثل مقتل زعيم حركة حماس يحيى السنوار يمكن أن ينهي الصراع ، مشيرة في الوقت ذاته إلى أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو تعهد بالفعل بالمضى قدما في الحرب.وقالت الصحيفة إن السنوار ولسنوات قبل أن يصعد ليصبح الزعيم العام لحماس هذا الصيف، عزز سلطته، مما منحه نفوذا كبيرا مقارنة بالقادة الآخرين.وأضافت أن السنوار كان تحت مراقبة إسرائيل لعقود من الزمان، حيث وصفته تقارير الاستخبارات في نقاط مختلفة بأنه قاسٍ وعنيف ولكن لديه قوى التحمل ، وكان معروفا لدى اسرائيل باسم "جزار خان يونس" لنهجه الوحشي تجاه الفلسطينيين المشتبه في تعاونهم مع إسرائيل.وتابعت أن السنوار أقنع مؤسس حماس، الشيخ أحمد ياسين، بضرورة تطهيرها من المخبرين لإسرائيل ، وأسسوا ذراعا أمنية ، كانت تعرف آنذاك باسم مجد، والتي قادها السنوار ، في أواخر الثمانينات اعتقلته إسرائيل واعترف أثناء التحقيق معه بقتل 12 متعاونا مشتبها بهم ، وفي النهاية حُكم عليه بالسجن مدى الحياة بتهمة ارتكاب جرائم شملت اختطاف وقتل جنديين إسرائيليين ، وخلال فترة وجوده في السجن، تعلم اللغة العبرية وبنى صورة للمجتمع الإسرائيلي.وأشارت إلى أنه في عام 2008، نجا السنوار من مستوى عنيف من سرطان المخ بعد العلاج في مستشفى في تل أبيب ، وأطلق رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو سراحه في عام 2011 مع حوالي 1000 سجين آخر مقابل جلعاد شاليط، الجندي الإسرائيلي الذي أسرته حماس في عملية عبر الحدود الجنوبية الشرقية لقطاع غزة مع اسرائيل عام 2006 ، وتعرض نتنياهو لانتقادات شديدة لإطلاق سراح العشرات من السجناء المحتجزين بتهمة التورط في هجمات مميتة.لذلك، لم تبخل إسرائيل بأي نفقات في مطاردته عقب هجوم 7 أكتوبر 2023 ، الذي يعتقد أن السنوار كان هو المخطط له، نظرا لسيطرته الحديدية على حماس في غزة ، وقتل حوالي 1200 إسرائيلي، وتم أخذ 251 آخرين كرهائن ، وزعمت إسرائيل إن السنوار كان يختبئ بين الرهائن لضمان عدم تمكن إسرائيل من قتله.وقالت الصحيفة : إنه بالنسبة لنتنياهو، تبدو الطريقة اللاذعة التي يتحدث بها عن السنوار شخصية، وهو أمر منطقي ، فقد رأى نتنياهو السنوار يرتفع ليصبح الرجل الأكثر طلبا لدى إسرائيل ، ويتحدي دائم، أنهى السنوار أحد خطاباته العامة القليلة بدعوة إسرائيل لاغتياله، معلنا في غزة : "سأعود إلى المنزل بعد هذا الاجتماع" ، ثم فعل ذلك، وصافح الناس والتقط صورا معهم في الشوارع.كانت اللقطات الأخيرة الواضحة للسنوار، في الأنفاق تحت غزة، والتي نشرها الجيش الإسرائيلي في فبراير ، ولكنها تعود إلى الأيام التي أعقبت السابع من أكتوبر ، واحدة من العديد من المناسبات التي اقترح فيها الإسرائيليون أنهم يقتربون من مكان اختبائه ، ولكن الآن

.لقد قال نتنياهو بالفعل إن حرب إسرائيل لم تنته، وخاصة بالنظر إلى الغزو البري ضد حزب الله في لبنان، المدعوم من إيران ، وإن رئيس الوزراء الإسرائيلي يعرف أنه يخوض أيضا معركة مع طهران

قُتل في مواجهة عرضية على ما يبدو مع جنود إسرائيليين في جنوب غزة.وأضافت الصحيفة : لقد تم القضاء أخيرا على الهدف الأكثر صعوبة لإسرائيل، وفقا للغة العسكرية الإسرائيلية" ، وتساءلت : إذن ماذا الآن ؟ لقد دعت عائلات الرهائن والسياسيون المعارضون الإسرائيليون إلى وقف إطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن الآن، حيث لا يزال 101 محتجزا في غزة، على الرغم من الاعتقاد بأن أكثر من 30 منهم لقوا حتفهم ، وبالنسبة لنتنياهو، فهذه فرصة لتعزيز شعبيته، بعد أن واجه انتقادات متزايدة محليا ودوليا بسبب ارتفاع عدد القتلى في غزة، والذي بلغ 42 ألفا ، وفقا لمسؤولي الصحة في المنطقة التي تديرها حماس.لقد قال نتنياهو بالفعل إن حرب إسرائيل لم تنته، وخاصة بالنظر إلى الغزو البري ضد حزب الله في لبنان، المدعوم من إيران ، وإن رئيس الوزراء الإسرائيلي يعرف أنه يخوض أيضا معركة مع طهران ويريد تحقيق أقصى استفادة من التفوق الذي يشعر به حاليا.وتابعت : إن أحد الأشياء التي كانت تحول دون التوصل إلى اتفاق بشأن وقف إطلاق النار هو رفض كل من السنوار المتشدد ونتنياهو الخاضع للضغوط من تقديم تنازلات. ويأمل المسؤولون في الولايات المتحدة والغرب الأوسع أن تكون هذه هي اللحظة التي ستجلب الجانبين إلى طاولة المفاوضات ، إن نتنياهو سيكون في قمة السعادة، في حين سيعرف خلفاء السنوار المحتملين وهيكل القيادة الأوسع لحماس أن لا أحد سيكون له نفس مكانة السنوار لإملاء الأمور.وقالت الصحيفة إن وفاة السنوار هي الضربة الأثقل التي تلقتها حماس منذ أكثر من عام من الحرب، مع عواقب أكثر خطورة على قواتها المتبقية في غزة من اغتيال الزعيم السياسي السابق إسماعيل هنية، الذي كان أقل ارتباطا بالإدارة اليومية للصراع ، ويعتقد المسؤولون الأمريكيون أن السنوار أراد الاستمرار في تمزيق سمعة إسرائيل الدولية وإلحاق الضرر بعلاقتها بحليفها الرئيسي واشنطن.كما اتهم منتقدو نتنياهو بأنه يريد استمرار الحرب حتى يتمكن من البقاء في منصبه، بدلا من خوض انتخابات محتملة حال نهايتها ، أحد الأهداف الرئيسية التي روج لها باستمرار هو الحاجة إلى تدمير قيادة حماس، وقد يزعم البيت الأبيض أنه بوفاة السنوار، تم تحقيق ذلك.إن مقتل السنوار هو نوع من الأحداث المهمة التي قد تساعد في تسريع نهاية الحرب في غزة، على الرغم من أن حالة عدم اليقين التي خلفتها قد تعني أن الطريق لا يزال طويلا.وقالت الصحيفة : إن كل المشاركين في الصراع سيسعون إلى تحديد موقفهم بسرعة ، على الرغم من أن نتنياهو سيحاول المضي قدما في غزة ولبنان بقدر ما يستطيع ، الوقت وحده هو

: لقد تم القضاء أخيرا على الهدف الأكثر صعوبة لإسرائيل، وفقا للغة العسكرية الإسرائيلية" ، وتساءلت : إذن ماذا الآن ؟ لقد دعت عائلات الرهائن والسياسيون المعارضون الإسرائيليون إلى وقف إطلاق النار وإطلاق سراح الرهائن الآن، حيث لا يزال 101 محتجزا في غزة، على الرغم من الاعتقاد بأن أكثر من 30 منهم لقوا حتفهم ، وبالنسبة لنتنياهو، فهذه فرصة لتعزيز شعبيته، بعد أن واجه انتقادات متزايدة محليا ودوليا بسبب ارتفاع عدد القتلى في غزة، والذي بلغ 42 ألفا

ملحمة 7 أكتوبر 2023

هل كان قرار السنوار صائباً؟

د/ منير شفيق

كان الوضع قبل 7 أكتوبر /تشرين الأوّل 2023، مأزومًا للغاية بين قطاع غزة والكيان الصهيوني، خصوصًا من ناحية تشديد الحصار.وكان الوضع في المسجد الأقصى، مأزومًا أكثر، مع تعاظم انتهاكات ممن يسمّون بحرّاس الهيكل وأمثالهم، وفي إطار اشتداد التأييد لهم من جانب "المتدينين" أتباع سموتريتش وبن غفير، الوزيرَين المتنفذين في حكومة نتنياهو.وقد وصلت التهديدات إلى التلويح ببناء كنيس في باحته، واقتسام الصلاة فيه، وممارسة ما طاب لهم من شعائر تلمودية. علمًا أن ذلك كله كان مخالفة صارخة لانتهاك "الستاتيكو" (الواقع القائم) المثبت دوليًا، بالقانون الدولي منذ 1854، وطوال عهود الاستعمار البريطاني، وإلى عام 2000، عندما بدأت الانتهاكات، وما زال المرجع.وكان الوضع في الضفة الغربية على شفا اكتساح شامل من قِبَل الجيش الصهيوني، ضد مخيم جنين، ونابلس، وطولكرم، ومخيم نور شمس، وصولا إلى عقبة جبر. مما جعل التحرك لمنع ما يُتوقع من مجازر ملحًا بالنسبة إلى كل الشعب الفلسطيني، ولا سيما من قِبَل المقاومة في قطاع غزة.بكلمة، كانت المواجهة ضد الاحتلال قبيل اندلاع عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023، متوقعة من جانب جيش الاحتلال، الذي كان قد دخل في مرحلة تصفية المقاومة في الضفة الغربية، وفرض اقتسام الصلاة في المسجد الأقصى بالقوّة السافرة، وبتحدٍ للجميع.

من هنا جاءت عملية طوفانً الأقصى من حيث التوقيت في لحظتها الحاسمة، بعد طول إعداد وتحضير لها، كجزء من إستراتيجية وتكتيك المقاومة ضد الاحتلال.وهي المقاومة، المعززة بالقانون الدولي، وبمشروعية حق الشعوب في ممارسة كل أشكال النضال، وعلى رأسها المقاومة المسلحة، وذلك حين تتعرّض للغزو والاحتلال. فكيف إذا كانت كما في فلسطين استعمارية، استيطانية، اقتلاعية، إحلالية، وبأيديولوجية عنصرية تعتبر الشعب الفلسطيني من جنس الحيوانات، كما أعلن بعض الرسميين الصهاينة إثر عملية طوفان الأقصى.من هنا فإن المبدأ الأول في تقويم عملية طوفان الأقصى، هو اعتبارها عملية مقاومة مشروعة بالقانون الدولي وأعراف الشعوب، وبالدين والوطنية والعروبة والإسلام، والإنسانية. وليس من حق أحد أن يطعن بشرعيتها، أو توقيتها، أو عدالتها.

ثانيًا: عندما يدقق بالتفاصيل التي اتّسمت بها عملية طوفان الأقصى من حيث الدقة في الإعداد والتحضير، وتأمين عنصر المفاجأة، بكل ما يقتضيه من تخطٍ للإجراءات الأمنية الهائلة، وفرض الغفلة على العدو، وذلك إلى حدّ لم يصدق أن مثل هذه العملية يمكن أن تقع، حتى لو وصلته مؤشرات تفرض تنبيهه لها، فإماتة يقظته الأمنية، وإماتة تقديره للموقف، وإيقاعه في بحر الغفلة.. كل هذه التفاصيل تفرض أن تقوّم عملية طوفان الأقصى بأعلى مستويات الذكاء، والمعرفة، والدهاء، والبراعة في القيادة، وفي التدبّر والإعداد.وهو ما يستحق من الشعب الفلسطيني على الخصوص، أعلى تقدير، وثقة بالقيادة، والكوادر والمقاومين، وبالشعب الحاضن لها، كما أثبت في صموده وإيمانه وتضحياته، وهو يتعرض لجريمة الإبادة الأخطر في العصر الحديث.

ثالثا: هذا البُعد الذي تجلى أعلاه، تأكد بشكل لا يقل أهمية عن عملية طوفان الأقصى، بل يفوقها، ويجدر به أن يكون امتدادًا لها. وذلك عندما تمكنت المقاومة وقيادتها والشعب من الانتصار في حرب بريّة أعجزت جيش العدو، وداعميه الدوليين، طوال عام كامل، من أن يقتحموا أنفاق غزة، أو ينالوا من المقاومة داخلها ومن حولها.فقد أثبتت قيادة عملية طوفان الأقصى، بأنها في تحضيرها لمواجهة ما يُتوقع من حرب عدوان تستهدف القضاء على المقاومة، وتركيع غزة، كانت على أعلى مستوى.لقد دارت معارك واشتباكات صفرية بين المقاومة والجيش الصهيوني بقضّه وقضيضه، وبدعم عسكري، وسياسي، وعالمي من أميركا ودول الغرب. وكانت النتيجة العسكرية طوال الأشهر الاثني عشر، هزيمة عسكرية فاضحة للجيش الرابع عالميًا، والذي طالما اعتبر نفسه لا يقهر، ولطالما ظن أنه الجيش الأقوى في المنطقة كلها.فكل ما تقدم هنا من تفاصيل حول الحرب البرية أثبت أن المقاومة وقادتها كانوا قد أعدوا دفاعًا مفكرًا به جيدًا، بما في ذلك تأمين ما يحتاج إليه المحاصر في الأنفاق من ماء وطعام وسلاح وصبر وإيمان وبراعة في القتال، لم يسبق لها مثيل. مما يدل على بُعد نظر ثاقب، ويدل على إعداد مسبق لمعركة دامت سنة كاملة، وما زال حبلها على الجرار لأشهر قادمة.

رابعًا: عندما وجد الجيش الصهيوني وقادة الكيان أنهم عاجزون عن الانتصار العسكري في الحرب البرية، راحوا يخوضون حربًا أخرى في الآن نفسه، حربًا تستهدف إبادة المدنيين، وتدمير غزة ليس انتقامًا من هزيمة طوفان الأقصى فحسب، وإنما إنقاذا لماء الوجه من الجثو على الركبتين، في هزيمة عسكرية تحققت في الميدان. وقد أصبح هدف استمرار الحرب هدفا بحد ذاته؛ لأنه يمنع من إعلان انتصار المقاومة بمجرد الإعلان عن وقف إطلاق النار.الأمر الذي فرض في الآن نفسه على دول الغرب كافة، ولا سيما أميركا، أن يجعلوها حربًا عالمية ضد غزة، وبكل ما تحمله، والحالة هذه، من أبعاد حضارية ودينية ومعنوية. وهو ما أكده نتنياهو في خطابه في الكونغرس، حين اعتبر حربه دفاعًا عن الحضارة الغربية ضد "البربرية". وتحولت إلى سقطة أميركية، حين قوبلت بتصفيق الكونغرس. وقد كشفت كل ما تضمنته الحضارة الغربية من عنصرية الرجل الأبيض ضد شعوب العالم، من عنصرية واستعلاء عرقي. وذلك حين يعتبر مرتكبو الإبادة والقتل الجماعي للأطفال والمدنيين في غزة، ممثلين للحضارة الغربية (العرق الأبيض) ضد "البرابرة" (شعوب العالم).

خامسًا: على أن الانتقال إلى حرب الإبادة (القتل الجماعي للمدنيين الذين لا يستطيعون منع الإبادة أو الفرار بجلودهم) لا يجوز، ولا يحق لفلسطيني أو عربي أو مسلم أو إنسان في هذا العالم أن يعتبر عملية طوفان الأقصى هي التي تسببت بحرب الإبادة. لأن حرب الإبادة خارجة أولا عن أي توقع في صراع، وثانيًا لا مسوغ لها من أي نوع. فهي جريمة قائمة بذاتها، ولذاتها، كما يعتبرها القانون الدولي، والعرف الإنساني، ولا أحد يُحاسَب عليها غير مرتكبها، ومن يؤيده أو يغطيه.إن هذا الموقف من حرب الإبادة هو الموقف الصحيح والأخلاقي، ومن دونه يُشرّع للإبادة (القتل الجماعي) ليكون قانونا عالميًا في الصراعات والحروب. أي العودة بالإنسانية ليس إلى الغابة وقانونها، وإنما إلى غابة وحوش لم يعرفها تاريخ البشرية.

والخلاصة، إن عملية طوفان الأقصى وانتصار المقاومة بقيادة يحيى السنوار، وصمود الشعب وإيمانه وصبره وتضحياته في غزة، شكل ذلك ملحمة مقاومة تاريخية في الطريق لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر.

وقد شكّلت من حولها محور مقاومة عربية وإيرانية وإسلامية مشاركا في القتال والتضحية. وحركت ضميرًا إنسانيًا لبناء عالم جديد يتسم بالعدالة والمساواة بين الشعوب. وكشفت زيف وجود الكيان الصهيوني، وفضيحة جريمة العنصرية، وسياسات الدول الغربية وهي تسكت عن جرائم الإبادة طوال عام كامل ضد المدنيين والأطفال في غزة.

د/منير شفيق
مفكر فلسطيني

وكالة القبس للنشر الرقمي

بومرداس ، الهاتف :78 _ 73 _ 20 _ 0662

موسوعة

النظام الجزائري

من (1962 الى 2019)

قراءة موضوعية في أهم الأحداث

و المواقف و القرارات .

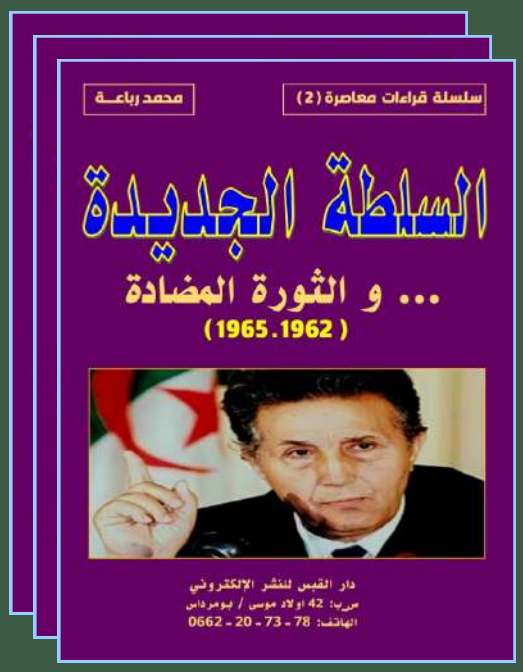

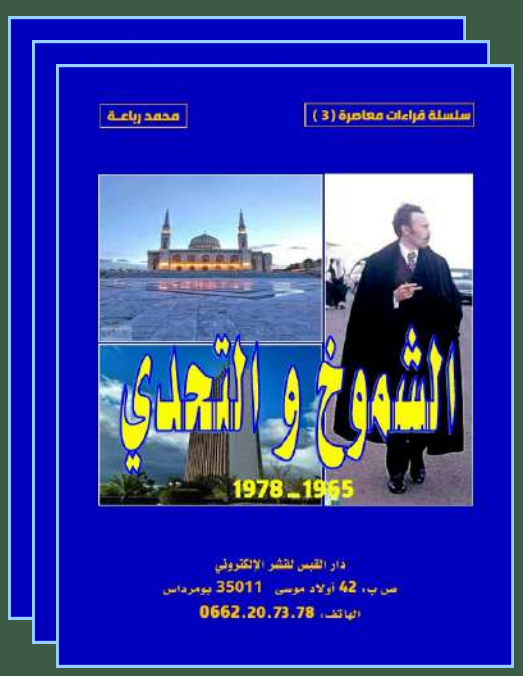

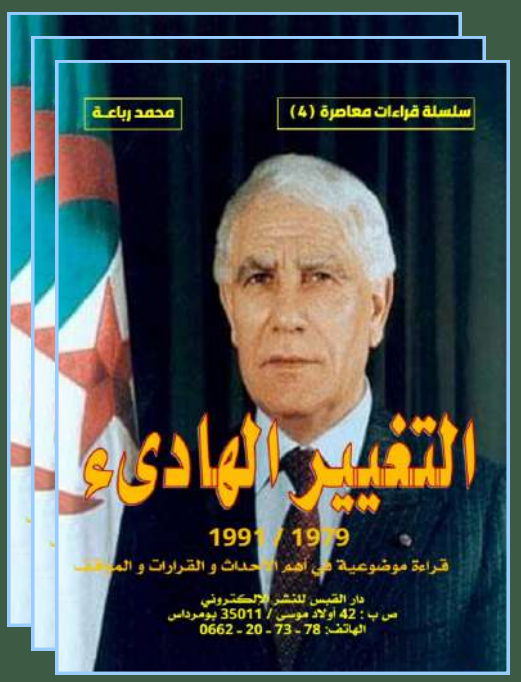

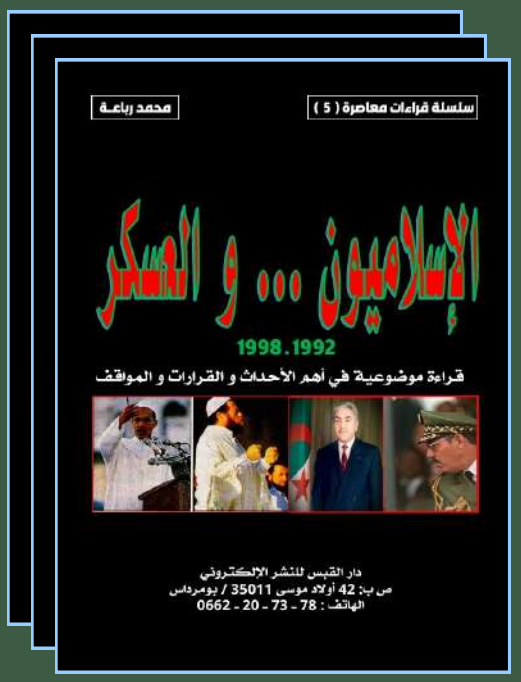

رواية الشوك و القرنفل

فصول من النضال الفلسطيني

في عام 2004، وبعد عملية معقدة استغرقت وقتًا طويلاً واحتاجت إلى تضافر جهود العديد من الأسرى، حرر يحيى السنوار من السجن روايته "الشوك والقرنفل".تسلط هذه الرواية الضوء على جانب من نضال الشعب الفلسطيني، ممتدة من حقبة عام 1967 حتى "انتفاضة الأقصى"، مع التركيز على نشأة التيار الإسلامي في المقاومة الفلسطينية، وتحديدًا حماس، في سياقاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية.

تبدأ الرواية بين جدران بيت في أحد مخيمات غزة، حيث تتشكل قيم الأطفال الصغار واختياراتهم، أطفال سيكبرون ليصبحوا شخصيات محورية في حركة المقاومة. ومن هذا المنزل تتسع الرواية لتشمل العائلة والجيران وسكان المخيم وكل القطاع والضفة وباقي الأرض المحتلة، حيث يمثل كل فرد منها حجرًا في بناء تجربة حركة المقاومة خلال تلك الحقبة المفصلية.

مقدمة الرواية

في مقدمة الرواية، يهدي السنوار هذا العمل لكل من ارتبطت قلوبهم بالقدس، من المحيط إلى المحيط.ويقول ببساطة ووضوح: "هذه ليست قصتي الشخصية، وليست قصة شخص بعينه، رغم أن كل أحداثها حقيقية." فكل ما أورده الكاتب من مشاهد حياة في روايته، كل ما ترويه هذه الصفحات هو انعكاس لحياة فلسطيني هنا أو هناك، قصص جمعها الكاتب من أفواه أصحابها كما ذكر. فهو لا يختبئ وراء الخيال، بل يذكر في مقدمته أن الخيال الوحيد في العمل هو في تحويل الواقع إلى رواية تدور حول أشخاص محددين ليتحقق لها شكل العمل الروائي وشروطه. وكل ما سوى ذلك حقيقة عاشها بنفسه أو استمع إليها من أفواه أولئك الذين مروا بها، سواء كانوا هم، عائلاتهم، أو جيرانهم، على مدار عشر سنوات في أرض فلسطين. في هذا السياق، نجد سليمان صالح أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة، يكتب: "لا يمكن النظرُ في رواية "الشوك والقرنفل" باعتبارها عملًا أدبيًا.. هي رسالة للأمة (كل الأمة) لتفهم القضية، كما يريد السنوار أن يشرحها.. فهو – وهو الدارس للغة العربية في الجامعة الإسلامية- اختار أن يستخدم الفصحى وحدها في السرد والحوار، وعندما يضطر لاستخدام اللهجة الفلسطينية، يعيد شرح التعبير باللغة العربية." وتشير الكاتبة الفلسطينية حنين عوض الله في مقال لها بعنوان "فلسفة حماس: السياسة والوجود عند يحيى السنوار"، أن الرواية التاريخيّة ليست مجرّد انعكاس لأحداث الماضي؛ بل هي استكشاف عميق للقوى الاجتماعية والفلسفية والأخلاقيّة التي تشكل الحركات التاريخيّة. فالشخصيّات في الروايات التاريخيّة تجسّد وتخوض صراعات فلسفيّة في سياق عصرها. بكلمات أخرى؛ تشكل الرواية التاريخيّة وسيلة لفهم العلاقة المعقدة بين المعتقدات الشخصيّة والامتداد الأوسع للتاريخ.لذلك، نجد الرواية بجانب التأريخ تركز على التربية معتمدة على تحليل وتفكيك الأسباب و الواقع وتناقضاته.

رواية الشوك والقرنفل

تُروى القصة بلسان أحمد، ابن المخيم الذي فتح عينيه على قسوة الحياة من حوله؛ بدءا من مخيم الشاطئ في غزة، مرورًا بالحرب التي سرقت والده المقاوم دون أثر. يتربى أحمد في منزل تأكله الفقر، بيت يسقط المطر من سقفه على الأسرة في ليالي الشتاء الباردة. شقيقه الأكبر محمود، الذي درس في مصر وعاد مهندسًا، ينضم إلى حركة "فتح". سجنه الاحتلال وعذبه بسبب نشاطه السياسي، لكنه قاد إضرابًا داخل السجن، نجح من خلاله في تحقيق بعض حقوق الأسرى، ليصبح رمزًا نضاليًا للأسرة ومحبوبًا فيها. ومع ذلك، يبقى محمود متمسكا بمبادئ "فتح" ورؤيتها، ولا سيما الحلول التي طرحت خلال تلك الفترة، بما في ذلك اتفاق أوسلو. أما أحمد، الراوي، في البداية يعيش مراقبا بين طرفي نقيض: أخوه محمود المدافع عن أفكار "فتح"، وابن عمه إبراهيم، الذي يمثل التيار الإسلامي وينتمي إلى حركة "حماس". تتأرجح مشاعر أحمد بينهما، وفي النهاية يتأثر بأفكار ابن عمه إبراهيم، ابن الشهيد الذي تربّى معه في نفس البيت مع نفس الأمّ، وكبر ليصبح نموذج القائد الحقيقيّ. وإبراهيم، هو الشخصية المحورية الأخرى في الرواية، يمثل القيادي الطلابي النشط الذي يحمل أفكار الحركة الإسلامية، ويجسدها عبر مواقفه وأفعاله طوال القصة. وقد اختار أن ينضم إلى المقاومة، وفي الوقت ذاته عمل في البناء لكسب رزقه بكرامة.

السياق التاريخي

تبدأ رواية الشوك والقرنفل في شتاء عام 1967، قبل النكسة بقليل، عندما كانت غزة تحت الإدارة المصرية. أحمد، الطفل ذو الخمس سنوات آنذاك، يسرد واحدة من أولى ذكرياته عن ذلك الزمن، حين كان شاهدًا على كل ما يجري حوله. اللحظة التي ترسخت في ذاكرته كانت لحظة الانكسار، حين احتلت إسرائيل قطاع غزة خلال حرب 67، وقد عبر أحمد عن تلك اللحظة بمشهدين محفورين في ذهنه.المشهد الأول حينما تبدلت معاملة الجندي المصري له؛ بعدما كان يمنحه الحلوى ويربت على رأسه بمودةٍ نهره فجأة ليبتعد عنه عند اندلاع الحرب، خوفا عليه من الخطر الذي بات يلوح في الأفق.أما المشهد الثاني، فكان أفظع بكثير. حين قامت إسرائيل بجمع الرجال في مخيم الشاطئ، ممن تزيد أعمارهم عن 18 عامًا، وأخذوهم أمام ضابط مخابرات ليفحصهم بعينيه، ثم أطلق النار على من تم اختياره باعتبارهم الأشداء. أما البقية، فقد سيقوا إلى الحدود المصرية وأُمروا بالركض، ومن حاول الالتفات، كان مصيره الرصاص. "واجهت قوات الاحتلال مقاومة شرسة في إحدى المناطق وانسحبت. بعد قليل، ظهرت دبابات وسيارات جيب تحمل أعلامًا مصرية، فاستبشر المقاومون خيرًا بقدوم العون. خرجوا من خنادقهم، مطلقين النار في الهواء احتفالاً بالدعم. ولكن، عندما اقتربت القافلة، انطلقت منها نيران كثيفة لتقتل المقاومين. ثم رُفعت الأعلام الإسرائيلية على تلك الدبابات والآليات بدلًا من الأعلام المصرية." ويبدو أن السنوار اختار أن تبدأ أحداث القصة بعد عام 1967، وهو شخصيّة سياسيّة وعسكريّة بالدرجة الأولى، لتسجيل هذه المرحلة المفصليّة في تاريخ المقاومة المسلحة ونقلها في هذا الشكل الإبداعيّ – الروائيّ، مشيرا إلى أنها محاولة تتعدّى مجرّد تلاوة التاريخ ووقائعه. إذ نجد الكاتب من خلال ذلك المشهد و كأنه يحاول أن يسترجع نقطة تحول أيديولوجية في النضال الفلسطيني في لحظة الإنكسار العربية، ليحلل رؤيته لتلك اللحظة التي وكأنها بداية انهيار الثقة بالقومية العربية كحل سياسي وفقا لمنظوره، وبدء إدراك الفلسطينيين لعجز هذا التيار عن تقديم الجدية اللازمة تجاه القضية الوطنية، خصوصًا مع التصاعد الشرس للاحتلال. فيوضح الكاتب بسرده في الشوك والقرنفل كيف أن الفلسطينيون وجدوا في الحركة الإسلامية آخر الحصون الاجتماعية التي صمدت أمام محاولات الإبادة الجماعية التي يمارسها الاحتلال. فارتباط الممارسة السياسية بالإيمان، ونقل مرجعية الوجود الفلسطيني وهدفه إلى الله، شكل حاجزًا منيعًا لا يمكن للعدو تفتيته. الإسلام، بنظامه العصامي وأثاره في النفوس، أتاح للفلسطينيين بناء صروح سياسية ثابتة، تقف ضد محاولات تذويب الوعي وتحريف المسار. لذلك، نجد أحمد عندما بدأ يستمع إلى ابن عمه إبراهيم، الذي انضم إلى مجموعة الشيخ أحمد ياسين، كان لهذا الحديث أثر عميق في نفسه. إذ نجد الراوي يقول عندما أنصت إلى شرح إبراهيم : "بدأنا نفهم أن للصراع وجهًا آخر غير ما كنا نعي وندرك من قبل. فالمسألة ليست فقط مسألة أرض وشعب طرد من هذه الأرض، وإنما هي عقيدة ودين، معركة حضارة وتاريخ ووجود".هنا، يظهر الربط بين الدين والوطنية متجسدًا في فريضة الجهاد، حيث يمنح هذا الارتباط القداسة للمسعى الوطني، مما يزرع في نفوس الأفراد جدية صارمة تدفعهم إلى العمل بلا هوادة لتحقيق الهدف. هذا المزج بين العقيدة والوطنية منح القضية أبعادًا أعمق، إذ تجاوز النضال مجرد الدفاع عن الأرض ليصبح التزامًا دينيًا. كما يعبر الراوي عن هذا بقوله: "حتى تأخذ المعركة بُعدها الحقيقي، وتكون بالمستوى المطلوب". بهذا المعنى، تتحول المقاومة إلى أكثر من مجرد رد فعل على الاحتلال؛ تصبح واجبًا مقدسًا يضع على كاهل الفرد مسؤولية لا يمكن تجاهلها أو التساهل فيها، ما يعطي للنضال الفلسطيني طابعًا مصيريًا ووجوديًا.

تُظهر رواية الشوك والقرنفل كيف استطاع الفلسطينيون تحويل لحظات الانكسار إلى عزّة، بدءا من معركة الكرامة عام 1968، حين اشتبكت قوات المسلحة الأردنية ومعها فصائل منظمة التحرير الفلسطينية مع قوات الاحتلال الإسرائيلي وصدوها، مرورًا بانتشاءهم بعد انتصار 1973، وصولا إلى بهجتهم بوصول أول صواريخ عربية إلى تل أبيب، التي أطلقها الجيش العراقي خلال حرب الخليج. ورغم أن تلك الصواريخ لم يسمع عن نتائجها حينها، إلا أن حالة الرعب التي أحدثتها في صفوف الإسرائيليين كانت كافية لتكشف للفلسطينيين هشاشة الدولة الإسرائيلية.كما يقول الراوي: "صورة الهلع الذي هز عمق الكيان المغتصب قد زادت قناعة الناس بهشاشة هذا العدو".ومع ذلك، لا تقتصر الرواية على لحظات النصر والانتشاء؛ بل تسلط الضوء على أوقات الإحباط والقنوط أيضا.فمن جهة، يأتي الإحباط إثر اندلاع مواجهة بين الفلسطينيين والأردنيين في "أيلول الأسود"، ومن جهة أخرى، تشهد الرواية شعور الخيبة بعد إبرام مصر اتفاقية سلام مع إسرائيل عام 1979، وما تبعَ ذلك من إجبار المقاومة على مغادرة لبنان عقب الاجتياح الإسرائيلي لها في 1982.ثم تأتي اتفاقية أوسلو لتكون بمثابة نقطة أخرى من خيبات الأمل، حيث رأى العديد من الفلسطينيين فيها إطفاء لنار الكفاح وإجهاضًا لآمالهم في تحقيق أهداف أبعد وأكبر.رغم ذلك، يواصل أحمد، بعينيه المفتوحتين مراقبة واقع المخيم، يرى الفقر والجوع والبرد الذي يغزو منزلهم ومدرستهم على حد سواء. كما يراقب المجتمع من حوله، و يلازم ابن عمه إبراهيم في عمله ودراسته ورحلته النضاليّة.وينظر الراوي إلى إبراهيم وإلى كل ما يمثله بعين الإعجاب، فبرغم أنّ إبراهيم لا يشتبك مع قوّات الاحتلال مباشرة ولا يستشهد إلا في نهاية الرواية، إلا أنه يعرف مصيره منذ البداية، ويسعى إليه، ولا يثنيه عن ذلك حتى زوجته وأطفاله؛ ويبدو أن السنوار حاول أن يصور إبراهيم على أنه نموذج الفرد الفلسطينيّ الذي يطمح الكاتب إلى أن تنتجه "حماس"،والذي سيحقق أهدافها المتمثلة في صنع المصير، وتحقيق الكيان السياسي للفلسطينيّين.إذ نجد أحمد في الرواية يقول، "في كل يوم، كان إبراهيم يزداد في نظري سموًا واحترامًا؛ فهو الذي تربّى يتيمًا من أبيه الذي استشهد وهو في الرابعة من عمره، ثمّ تركته أمّه وهو لا يزال صغيرًا، وتربّى بيننا، وقد أصبح رجلا عصاميًا، وقائدًا حقيقيًا رغم صغر سنه وصعوبة الظروف تحت الاحتلال".تستمر تفاصيل حياة أحمد وأسرته في التتابع، لتأخذنا إلى عمق معاناتهم اليومية في مواجهة القهر والفقر، تلك الحياة التي قاوموها بتعليم الأبناء حتى حصلوا على شهادات جامعية، وبالانخراط في صفوف المقاومة، مستندين إلى المبادئ التي غرسها أخوه الأكبر محمود. فقد قال محمود ذات يوم: "إذا تحقق عزم الرجال واستعدادهم للموت، فإن شيئا لا يمكن أن يقف في وجههم، ولابد للنصر أن يكون حليفهم"من خلال هذه الأسرة وجيرانها، وسكان مخيم الشاطئ، بل وامتدادًا إلى بقية غزة والضفة الغربية والشتات الفلسطيني في الأردن ولبنان، ترسم الرواية صورة تسلسليّة لوقائع القضية الفلسطينية.لا تكتفي الرواية بتقديم صورة المجتمع العادي فقط، بل تفتح الأبواب على زعماء القضية الكبار الذين ورد ذكرهم فيها، أمثال ياسر عرفات، أحمد ياسين، وأحمد جبريل. كما تسلط الضوء على القوى السياسية والنضالية التي حملت عبء القضية على أكتافها، من حركة فتح وحركة حماس إلى الجبهة الشعبية.ومع تطور السرد، نحاط علمًا بالتنوع الأيديولوجي للشباب الفلسطيني، الذي انقسم بين القومية، اليسارية، والإسلامية. هذا الانقسام الذي لم يتوقف عند النقاشات، بل امتد إلى جدالات ومواجهات حادة داخل المدارس والجامعات وحتى في السجون.ومع ذلك، وفي ظل القهر المشترك، تحولت السجون إلى مدارس تعليم السياسة وتاريخ فلسطين، حيث وجد الفلسطينيون في المحن المشتركة قوة تدفعهم نحو الوحدة والتقارب، متجاوزين الخلافات في وجه عدو مشترك.

التضحية والخلاص الجماعي

إذ يدرك إبراهيم في الرواية منذ سن مبكرة حاجته إلى المال لمواصلة دراسته وتدبير أمور حياته، فيتعلم فنون البناء بمرافقة صديق محترف في تلك الصنعة. و سرعان ما يتقن إبراهيم العمل، ليصبح هو نفسه مقاولا يتولى المشاريع. وعندما يتخرج من المدرسة الثانوية، يتخذ قرارًا حاسمًا برفض السفر إلى الخارج للدراسة، بل حتى يرفض الذهاب إلى "جامعة بيرزيت" في الضفة الغربية، ويختار الدراسة في "الجامعة الإسلامية" في غزة، رغم أنها في تلك الفترة لم تكن حتى تملك مبنى خاصًا بها. و كان قرار إبراهيم محط استنكار من زوجة عمه، التي كانت ترى أن "الجامعة الإسلامية" لا تصلح حتى كمؤسسة تعليمية مقارنة بالجامعات الأخرى، وتحثه على أن يسلك طريق أبناء عمه الذين درسوا في الخارج. لكن إبراهيم، بوعيه الاجتماعي والاقتصادي، اختار الجامعة الإسلامية لأنها كانت تكلف نصف ما تتطلبه الدراسة في "جامعة بيرزيت"، ناهيك عن كلفة الدراسة في مصر. ورغم الحصار الذي فرضه الاحتلال على الجامعة ومحاولته منع البناء فيها، إلا أن الإرادة الجماعية للعلم والتعليم كانت أقوى من أي عقبات. إبراهيم، ومعه أحمد والعديد من زملائه، بدأوا الدراسة في خيام وعرائش مصنوعة من سعف النخيل. وبدلا من أن يكون مجرد طالب، "إذ بإبراهيم يتحول من طالب وناشط إلى مقاول؛ إذ انهال هو وعدد من الطلاب المحترمين والمئات منا يساعدونهم في بناء قاعات دراسيّة... هكذا فرض الأمر الواقع على الاحتلال". يختار إبراهيم أن يضحي بخلاصه الفردي لصالح عائلته ومجتمعه و يستثمر ماله في الجامعة الإسلامية، ويدخر ماله لشراء سيّارة يستعملها في نشاطه السياسيّ والنضاليّ؛ بل يدخر جهده وطاقته لبناء الجامعة وتشييدها حتى تصبح جامعة حقيقيّة بالمستوى المطلوب.

الخلاص الفردي والخيانه

علي النقيض نجد حسن شقيق إبراهيم، سعى حسن نحو خلاص فردي، فلجأ إلى "تل أبيب" ليعيش في كنف فتاة إسرائيلية ويعمل في مصنع والدها. إلا أن هذه الحياة لم تدم طويلا؛ فقد انهارت تجارة والد الفتاة، وطرد حسن من الشقة التي كان يسكن فيها، ليجد نفسه مجبرًا على العودة إلى غزة والمخيم.لكن حسن، الذي كان دائمًا ميالا لتحقيق خلاصه الشخصي بأي ثمن، لم يعد إلى حياة المقاومة أو الإصرار على تحمل المسؤولية، بل انزلق إلى العمالة وخيانة مجتمعه. اختار أن يعمل كعميل للاحتلال، محولا طريقه إلى طريق الفساد والخيانة جالبا للبلد والقضيّة الخراب والإسقاط والتدهور السياسيّ. فوجد إبراهيم نفسه في مواجهة عواقب أفعال أخيه، واضطر لمواجهة الألم الذي سببه لحياته وللعائلة التي كانت تضع النضال والشرف في مقدمة أولوياتها. في أحد الأيام، يُفاجأ أحمد وهو يتفحص أوراق إبراهيم بتقرير استخباراتي محكم حول أخيه حسن. يدهشه مدى دقة هذا التقرير، فيقول أحمد: "التقرير ليس شغل أولاد أو أصحاب، هذا شغل ناس تعرف ما تفعل".هذا التقرير يكشف له وجود جهاز استخباراتي فلسطيني متطور بناه المقاومون، من بينهم إبراهيم نفسه. كان لإبراهيم علاقة مباشرة بمشكلة خيانة أخيه حسن، مما دفعه لبناء نظام أمني كامل يستهدف العملاء ويكشف طرق عملهم، ويضع أساليب لمجابهتهم دون أن يشعر العدو بوجود هذا الجهاز. إبراهيم، الذي كان مدفوعًا بعار خيانة أخيه وحبه لوطنه، وجد نفسه في مواجهة مؤلمة مع حسن. في نهاية المطاف، قرر إبراهيم إنهاء حياة أخيه الذي أصبح رمزًا للفساد والعمالة. لكنه بفعل خبرته الأمنية الدقيقة، نفذ هذا الفعل دون أن يترك أي دليل يدينه، محققا العدالة بهدوء وخفاء، مستمرًا في مسيرته النضالية دون أن يُكشف أمره.

الزهد

الرواية لا تخلو من جوانب إنسانية دقيقة، إذ يرسمها الكاتب بدقة، خصوصًا مشاعر الحب التي تأخذ مساحة خاصة في حياة الشخصيات. يتحدث الراوي عن إحساسه بالحب: "كان يغمرني بشعور من الراحة... هل هذا هو الحبّ؟ (...) اكتفيت فيما بعد بترقب خروجها إلى الجامعة لأراها من بعيد؛ غير طامحٍ في أكثر من ذلك، ولا حتى في النظرة فيكفيني أنني أحببت، ويكفي أنها فهمت ذلك جيّدًا". فيكتفي أحمد بمعرفة الحبّ في دنياه، ويؤجّل حصوله عليه إلى حينه، إن أصبح قادرًا على خطبتها كما "تربّى منذ طفولته".ثم يأتي إبراهيم ليكشف لأحمد أنه أيضًا قد عرف الحب، لكنه اتخذ قرارًا مختلفًا حياله، إذ يقول لأحمد؛ أنه "يتحوّل إلى سوط يكوي به الاحتلال ظهور المتحابّين. يا أحمد، حين تستخدم هذه العلاقة الشريفة المقدّسة بيد العملاء ورقة ضغط على العشاق؛ لإجبارهم على ترك معشوقتهم الأولى القدس، هل يظل في حياتنا متسع للحبّ والعشق؟"ويقول بعد نقاشهما عن الحب، يكتشف إبراهيم حقيقة صادمة، أن أعز أصدقائه وشريكه في قيادة الحركة الطلابية، فايز، كان عميل للاحتلال. في لحظة من التأمل العميق، يُلخص إبراهيم المشهد المعقد للعلاقات الإنسانية تحت ظل النضال والصراع: "هل يجوز لمثلنا، ونحن نعيش هذه الحياة، ونرى ما نرى، أن نحب ونعشق يا أحمد؟ قصتنا قصة فلسطينية مريرة، لا مكان فيها لأكثر من حب واحد وعشق واحد". في مشهد آخر للحث على الزهد، يظهر الشيخ أحمد وهو يحذر شباب المخيم من إضاعة الوقت في اللهو غير المفيد، داعيًا إياهم إلى الصلاة والتعبد والتأمل. يربط بين ذلك وبين مستقبل الإسلام في فلسطين، حيث يجب أن تعلو رايته. يقضي الشيخ سنوات في تربية هؤلاء الشباب على القيم الإسلامية، مشجعًا إياهم على الزهد والترفع عن الدنيا، ليخلق جيلا قادرًا على التضحية والفداء في سبيل الوطن والدين. وفقا لبعض النقاد تسلط رواية "الشوك والقرنفل" الضوء على المفاهيم العميقة التي يزرعها الكاتب في بنيان الشخصيات، مثل الزهد والتضحية والفداء، إلى جانب الوعي الأمنيّ الذي يتم غرسه في الأفراد، والذي يولد لديهم دافعًا داخليًا للمقاومة غير متأثر بالمؤثرات الخارجية. و يظهر ذلك بوضوح في حوارات وجدل يبرز في مرحلة مهمة من الرواية، حين يخوض محمود، المنتمي لحركة "فتح"، نقاشًا مع ابن عمه إبراهيم حول جدوى مفهوم "التربية والإعداد" الذي تتبناه حماس كإستراتيجية أساسية.و من خلال الأحداث في الرواية وفي الواقع، يتضح كيف نجحت هذه الإستراتيجية في إعداد جيل من الشباب القادر على مقاومة الاحتلال، مما يجعل هذا المفهوم مفتاحًا لفهم العديد من الأحداث في واقع غزة. كذلك، تقدم صورة أوضح عن عقل كاتبها يحيى السنوار وفلسفته وحركة المقاومة في نضالهم من أجل تحرير فلسطين.هذه الرواية ربما تساعد القارئ على فهم ليس فقط الأحداث التاريخية، ولكن أيضًا التطورات السياسية الأخيرة، مثل كيفية وصولنا إلى "طوفان الأقصى"، في إطار إرادة المقاومة التي تم بناؤها على مدى سنوات طويلة من التربية والإعداد.

يحيى السنوار أديبا و قائدا

قراءة في رواية الشوك و القرنفل

د/ سليمان صالح

لا يمكن النظرُ في رواية "الشوك والقرنفل" باعتبارها عملًا أدبيًا.. كاتبها نفسه، لم يكتبها لهذا الغرض، ولم يستعرض فيها قدراته التقنية في الحبكة والسرد والتشويق، لكنه تحرّى الصدق، والأمانة المعلوماتية، كما كان يفعل رواة الأحاديث، وإذا كنا لا نستطيع أن نقرأها فقط كعمل أدبي، فماذا يمكن أن نقرأ فيها؟حسنا، يمكننا أن نقرأ فيها أحداث وطنه، ومسيرته الشخصية والفكرية والوجدانية غير معزولة عما يمرّ به هذا الوطن وشبابه، وعما جربه فنجح فيه أو فشل.. هذا القائد الحمساوي – (الشاب الأسير) في ذلك الوقت- يخبرنا كيف وصلنا، وكيف وصل إلى هنا.كتب السنوار روايته في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وحرص أن يستخدم لقب "الأسير" في تقديم نفسه، وهذا التعريف، وحده، يعدّ مدخلًا مهمًا لفهم رموز القصة، وما يعنيه من ورائها.

اللقب الذي يعرف به نفسه على الغلاف هو جزء من قصة المعاناة التي ترويها صفحات "الشوك والقرنفل"، وهي معاناة يعرفها الكاتب ويعيشها ويصورها، ويعرفها زملاؤه الأسرى الذين اعتبروا الرواية مشروعًا يعبّر عنهم، فساهموا في نسخ الصفحات وتهريبها خارج السجن، ليكونوا بذلك قد شاركوا في تجربة مقاومة مبدعة، لتوصيل صوت أريدَ له أن يكون مكتومًا.**اختار إبراهيم أن ينضم إلى المقاومة، كما اختار أن يعمل في البناء كمهنة لكسب الرزق، ولا تخفى رمزية المهنة التي اختارها المناضل هنا، فهو رجل يختار البناء، وقيامه بأعمال المقاومة لا يتعارض مع ذلك، بل يدعمه** وبهذا الفعل التعبيري القادم من وراء الجدران عام 2004، حوّل السنوار – ومن ورائه زملاؤه الأسرى الذين نقلوا الرواية للخَارج- تاريخ المقاومة إلى قصة حية تشكل مصدرًا مهمًا لقوة شعب فلسطين، الذي يقدم بدوره نموذجًا للكفاح طويل المدى، يتشارك فيه الأبطال مشاعر الحزن والأمل، وقصص الحب.

يمكننا أن نتلمّس في هذه الرواية – بعيدًا عن النقد الأدبي- ملامح القيادة لدى شاب يحمل قضية، يعيشها كأنه يراها حتى وهو في غياهب السجون، فهل يكون غريبًا أن يقود كاتب هذه الرواية كفاحَ شعب فلسطين للحريّة والتحرير؟ وأن يكون هو القائد الذي يواجه قوة جيش الاحتلال الإسرائيلي الغاشمة، ويقود ثورة العقول الفلسطينية للتخطيط الصبور طويل النفس لتطوير قوة المقاومة لتحقق انتصارات لم يتوقعها العدو؟أول ما نلاحظه في الرواية من ملامح القيادة في هذا العمل الروائي، أن الكاتب يمتلك خيالًا جغرافيًا، فهو يحرّك أبطاله على أرض وطنه، الذي يعرف خصائص كل شبر فيه، وما يميّز كل قرية أو مدينة، الوطنُ- الذي يناضل من أجله- مترابط في خياله، لم يتمكّن الاحتلال من تغيير معالمه التاريخية، فخيال الكاتب القائد يحتفظ بالخارطة الحقيقيّة للوطن التي تطوّرت عبر التاريخ.

هو أيضًا يملك خيالًا اجتماعيًا، وذاكرة تحفظ عادات شعبه وتقاليده، ومزاجه ومفاتيحه، ومكامن قوته وضعفه، وما يمكن أن يقوم به هذا الشعب إذا أحسن توجيهه. فهو يقدم كيف يتميز هذا الشعب بارتباطه بأرضه، وقدرته على تحمل المعاناة، وتكافله الاجتماعي، قدّم ذلك من خلال الأسرة التي اختار أن تكون بطلة أحداثه، منطلقا من مخيم الشاطئ ذي الظروف البائسة في قطاع غزة، ونحن نرى كيف صمدت هذه الأسرة في وجه المحنة، وإصرارها على التغلب عليها.

كما نرى كيف أنّ اختلاف الآراء والاتجاهات السياسية داخل تلك الأسرة لم يدفع جل أولادها للبحث عن حل فردي، يحققون به سعادتهم الشخصية على حساب أسرتهم، لم يفعل ذلك في أحداث الرواية إلا شخص وحيد من أبناء الأسرة، فنبذه أفرادها وعملوا على التخلّص منه.

لا يجد قارئ هذه الرواية صعوبة في تفسير رموزها، فالأسرة هي الوطن، وأبناؤها أبناؤه، واتجاهاتهم الفكرية هي ما تمور به الساحة الفلسطينية من آراء واجتهادات، هدفها الأخير هدف واحد، والكاتبُ يستخدم روايته، من خلال بطليها أحمد (الراوي)، وإبراهيم (القائد الحمساوي المناضل)، ليشرح رؤيته الشخصية للواقع ولطبيعة المعركة وللحلول.. هو يخوض عبرهما حالة من النقاش السياسي والفكري مع التيارات الأخرى في المجتمع الفلسطيني، يسعى أن يشرح لهم فكرة ويوضحها، ويسوق الحجج لدعمها. وهنا نلاحظ حضور السنوار صاحب الرؤية والقضية غالبًا على حضور الروائي.. الرواية بالنسبة له هي حكاية الوطن، وما يقوله فيها محاولة لشرح رؤيته لأبناء الوطن: (الفلسطيني أولا، ثم العربي والإسلامي ثانيًا)؛ لجمعهم وراءها.

لا يغرق الكاتب في تعقيد الحبكة أو السرد والأحداث؛ لأن الهدف هو وضوح الرسالة، والرواية هي القضية والرسالة.

ملحوظة أخرى تؤكد أن الرواية في الحقيقة هي رسالة للأمة (كل الأمة) لتفهم القضية، كما يريد السنوار أن يشرحها.. فهو – وهو الدارس للغة العربية في الجامعة الإسلامية- اختار أن يستخدم الفصحى وحدها في السرد والحوار، وعندما يضطر لاستخدام اللهجة الفلسطينية، يعيد شرح التعبير باللغة العربية، وهذا في رأيي يعود إلى سببَين؛ الأول: أنه- وهو ابن الحركة الإسلامية الفتية في ذلك الوقت- يريد أن تصل رسالته إلى كل الجماهير العربية، فيشرح لهم ما قد يبهم عليهم، والثاني: أنه انعكاس لأصالته كقائد شاب (في ذلك الوقت)، ينتمي لحركة إسلامية تعتبر اللغة الفصحى من أهم مكونات الهوية.

مجتمع يوظّف مصادر قوته

تبدأ أحداث القصة بعد عام 1967، لتصوّر حياة أسرة في مخيم الشاطئ بغزة، في بيت تتساقط مياه الأمطار من سطحة على الأسرة في الشتاء. الابن الأكبر (محمود) يدرس في مصر، ويعود مهندسًا، ينضم إلى حركة "فتح"، يسجن ويعذب بسبب ذلك، لكنه يقود المساجين في إضراب ينجح من خلاله في الحصول على بعض حقوقهم، ثم يخرج من السجن ليصبح رمزًا نضاليًا محبوبًا للأسرة، ولكنه يظل مدافعًا شرسًا عن رؤية "فتح" للحل، ولا سيما الحلول التي برزت في تلك الفترة التي شهدت اتفاق أوسلو.

الابن الأصغر (أحمد) هو راوي القصة، وهو يقلب نظره بين أخيه الذي يحمل أفكار "فتح"، وبين أفكار الحركة الإسلامية التي يحملها ابن عمه (إبراهيم)، ليتأثر في النهاية بأفكار الأخير، وينضم إلى حركة "حماس". وهناك (إبراهيم)، البطل الآخر للقصة، قيادي طلابي نشط يحمل أفكار الحركة الإسلامية، ويعرض رؤيتها على مدار الرواية بفعله وقوله. اختار إبراهيم أن ينضم إلى المقاومة، كما اختار أن يعمل في البناء كمهنة لكسب الرزق، ولا تخفى رمزية المهنة التي اختارها المناضل هنا، فهو رجل يختار البناء، وقيامه بأعمال المقاومة لا يتعارض مع ذلك، بل يدعمه.. ظل كلام إبراهيم صادقا ومؤثرًا وملهمًا على طول العمل، وقد اختار البقاء في غزة لا يفارقها، رغم العروض والإغراءات؛ لأنه يؤمن بقضية وطنه. الأم الفلسطينية حاضرة أيضًا، فنحن نرى كيف تلعب أم محمود دورًا مهمًا في المحافظة على الأسرة، ودفع كل أفرادها لتحقيق النجاح، وهي تصر على أن تختار زوجات أبنائها، اللاتي سيصبحن جزءا من أسرتها الممتدة بقبولهن الزواج في غرفة واحدة من غرف المنزل، وتقاسم أعباء الحياة مع بقية أفراد الأسرة.في مرحلة مهمة من الرواية يخوض (محمود) الفتحاوي جدلًا مع ابن عمه (إبراهيم) حول جدوى مفهوم "التربية والإعداد" الذي تتبناه الحركة الإسلامية إستراتيجية لها، ثم نكتشف من أحداث القصة كيف نجحت تلك الإستراتيجية في إعداد كثير من الشباب لمقاومة الاحتلال، ولذلك يشكل هذا المفهوم مفتاحًا لفهم كثير من الأحداث، ولفهم رؤية حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في نضالها من أجل تحرير فلسطين، كما أنه يساعدنا أيضًا في فهم كيف وصلنا إلى "طوفان الأقصى".

رواية الشوك و القرنفل

الوجه الآخر للسنوار

عُرف يحيى السنوار منذ 7 أكتوبر الماضي، على أنه مهندس الهجوم الذي شنته حركة "حماس" على إسرائيل، ولكن هذا ليس وجهه الوحيد، إذ يكشف في روايته "الشوك والقرنفل"، التي يتحدث فيها بلسان الراوي (أحمد)، بألسنة متعددة، عن أوجهة المختلفة، بينها وجهه الأدبي.أمضى السنوار، الذي نشأ في مخيم للاجئين الفلسطينيين، سنوات في سجون الاحتلال، تعلم خلالها العبرية وأجادها، ثم درس تاريخ السردية الإسرائيلية، واستخدمها في المواجهة، بحيث قال أحدهم مشيداً بمهارته: "لا يمكن أن يكون فلسطينيا، إنه يعرف كل شيء عنا". ويستشهد السنوار بتجربة السجن قائلا: "هكذا بدأ السجن يتحوّل إلى مدرسة متقدّمة يعلم فيها المتعلم غيره، ويتدرب الجدد على المناظرة والتفكير السياسي، وبدأ يتبلور فكر سياسي وأيديولوجي واضح للمعتقلين بحسب انتماءاتهم السياسية". ويسرد السنوار في روايته تفاصيل الواقع الفلسطيني المتشعّب والمعقد، الواقع تحت وصايات عربية ودولية، ويستهلها بالقول: "هذه ليست قصتي الشخصية، وليست قصّة شخص بعينه، رغم أن كل أحداثها حقيقية، وتخص هذا الفلسطيني أو ذاك".

كتب الأدباء كثيراً عن فلسطين، انطلاقاً من ضرورة استمرار السرد الذي يقاوم النسيان، وعدم تمرير ما فعله الاحتلال بيُسر، ورواية "الشوك والقرنفل" تسير على النهج نفسه، لكنها ليست مثل الروايات الأخرى، فهي أولا تندرج ضمن أدب السجون، وثانيا لأن كاتبها هو يحيى السنوار.

"مسلخ" غزة

أمضى السنوار 23 عاماً في السجون الإسرائيلية، قبل أن يخرج ويتولى مسؤوليات أمنية داخل "حماس"، إذ كان معتقلاً في سجن بئر السبع، وأنهى فترة محكومية سنة 2004، أي قبل 20 سنة من الحرب على غزة. وكتب السنوار وقائع حقيقية عن تجربته في السجون قائلا: "قسم التحقيق في سجن غزة كان يسمى المسلخ، لما يُمارس فيه من تعذيب وقهر وسلخ لمن يدخله، وهو عبارة عن مبنى فيه ممر يتوسّط المكان، عرضه نحو 4 أمتار وطوله 20 مترا، وعلى جانبيه تفتح أبواب غرف مختلفة الحجم يتمّ فيها التحقيق".

أضاف: "في هذا الممرّ الطويل، يتم إجلاس المعتقلين على الأرض، أو إيقافهم ووجوههم إلى الجدار، وقد غطيت رؤوسهم بأكياس من القماش السميك حتى الاكتاف، ورُبطت أيديهم خلف ظهورهم."

أحلام الأرز واللحم

وتتسم لغة الرواية بالسلاسة المتدفقة، إذ لا تعقيدات درامية وأسلوبية فيها، فيشخص فيها الراوي بدقة الحياة الاجتماعية في المخيمات، والظروف الاقتصادية المرتبطة أصلا بصفة اللاجئ، والعيش على إعانات وكالة الغوث، وعلى بعض الأعمال البسيطة، بفعل واقع الاحتلال. ويصف السنوار في روايته الواقع المعيشي الصعب في فلسطين بفقرة تنمّ عن فكاهة مريرة، فيقول: "في أحد الأيام كان الجو شديد البرودة وعاصفا، تبلل غالبيتنا من مياه المطر في طريق ذهابنا إلى المدرسة. بعد أن تناولنا الحليب، دخلنا فصلنا وجلسنا على مقاعدنا نرتجف. دخل الأستاذ الشيخ علينا، وكأنه أدرك أننا لسنا بحالة تسمح لنا بالدراسة أو القراءة أو الفهم فأراد أن يُضحكنا قائلا: يا أولاد تخيّلوا أن السماء تمطر الآن أرزا ولحما.. حدثت ضوضاء في الصف ونسينا البرد والبلل على ذكر الرز واللحم، وبدأنا نتحدث دون نظام: أنا لن أكل سوى اللحم .. أنا أحب الرز ... أنا ... أنا".

وتابع: "تركنا الشيخ نلهو نلعب ونعيش أحلام الرز واللحم بضعة دقائق، ثم صرخ فينا: اسكتوا.. الله يجعلها تمطر جرادا تعضكم جميعا مرّة واحدة".وأردف: "أخرجوا كتاب القراءة، افتحوا على الدرس العشرين، اقرأ يا أحمد.. فتحت كتابي الذي كان مبتلا بالماء، وبدأت القراءة وأنا أرتجف من البرد، وشفاه الشيخ تتمتم: لا حول ولا قوة إلا بالله، لازم تتعلموا حتى تصبحوا (بني آدمين)".حكى السنوار كل ذلك من خلال عائلته الصغيرة، إذ يقوم جدّه الشيخ المتعب في البداية بدور المعيل للعائلة، ثم تحافظ الأم على تماسك الأولاد، بعد أن أخذ الإسرائيليون أبيه وعمه. اختفى الوالد، قبل أن تأتي الأخبار عن موته في آخر فصول الرواية الثلاثين، وتوفي الثاني، وأصبحت الأم على رأس عائلة مكوّنة من أولادها وأبناء عمهم، الذين سيشكلون النسيج الروائي المحكي.

السردية الفلسطينية

لا تتمركز الرواية على حبكة محدودة، بل هي سردية الواقع الفلسطيني الاجتماعي والسياسي، الذي يتنوّع ما بين مقاومة سلمية وأخرى مسلحة، فقر ولجوء، بيوت صفيح، وصولا إلى وجهات نظر سياسية واقتصادية مختلفة. تدور الرواية حول عائلة تعيش في مخيمات غزة، في تعالق مباشر مع مجريات القضية الفلسطينية منذ 1967، تاريخ النكسة في الأدبيات السياسية، التي عرفت سيطرة إسرائيل على قطاع غزة حتى انتفاضة عام 2000. يستعرض السنوار من وجهة نظر الكاتب، المنتمي إلى التيار الإسلامي الذي تتبناه "حماس"، التاريخ السياسي للقضية بكل تشعّباتها والفاعلين والمؤثرين فيها، والاحداث والمتغيرات التي عرفتها. ويبدأ من الخط السياسي المعروف الذي يوجّه دفة السرد، وينتقل إلى العوالم المرسومة التي نجدها في تيار الأدب الإسلامي، الذي يرسم لشخصياته حدودا معينة، ويجعل آلية الوصف فيه مسارات مقيّدة بضوابط الدين الإسلامي.

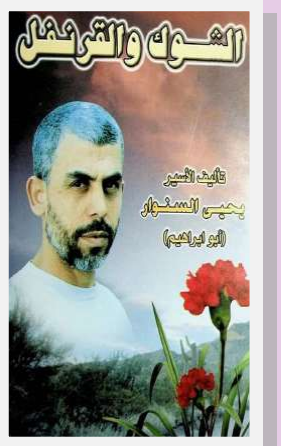

أفراح الحارة

ويكتب عن لسان بطله: "يوم تمّ إطلاق سراح شقيقي محمود، انتظرنا جميعاً أمام باب السرايا، ثم أطل من الباب مع ساعات الظهر، حين رأنا ركض نحونا، واستقبلناه بالأحضان، كانت أمي كالعادة متأخرة، وصل إليها محمود وانكبّ عليها يقبّل رأسها ويديها، وهي تحاول منعه قائلة "لا يا باش مهندس".يضيف: "انطلقنا إلى البيت ورؤوسنا تطاول العنان، وكلما مررنا بأحد معارفنا وقف مسرعا أو التفت إلينا مسرعا وجاء مهنئا مقبلا، قائلاً (الحمد لله على السلامة يا باش مهندس)، وصلنا أطراف الحارة فكانت كلها في انتظارنا، واستقبلوا محمود مثل الفاتحين المحرّرين، ودامت الأفراح أياما متتالية."هكذا نتتبع تطوّر الأحداث كما رآها أحمد، منذ كان طفلا، ثم ما استتبع ذلك من تكوين خلايا مقاومة من قبل بعض سكان المخيم، وما تلاها من اعتقالات واستجوابات، ومن ثم ظهور مصطلح "الفدائيين" في حركة "فتح"، عقب معركة الكرامة في الأردن، و"أيلول الأسود"، و"حرب أكتوبر" 1973، والحرب الأهلية اللبنانية، ودور اللاجئين الفلسطينيين فيها. بعدها اندلعت الانتفاضة الأولى في الثمانينات، وتبعتها حرب الخليج مع إطلاق صدام حسين الصواريخ باتجاه تل أبيب عام 1991، ثم توقيع اتفاق أوسلو بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل، ودخول السلطة إلى قطاع غزة.

الخلاف الداخلي

الجزء الأعمق من الرواية، تناول الخلاف حول كيفية التعامل مع وضع الاحتلال، ما بين أعضاء التيار الإسلامي من جهة، وتيار "فتح" ثم خيارات السلطة الفلسطينية فيما بعد. يتناول بموازاة ذلك عمليات الفدائيين، أو ما أطلق عليهم في الرواية "المجاهدين" لاحقا، ضدّ الجنود الإسرائيليين في غزة وأماكن أخرى من فلسطين، وذلك خلال الانتفاضة الأولى وما تلاها من عمليات مسلحة.في الرواية شخصيتان أساسيتان: الأخ الأكبر محمود، عضو حركة فتح الذي يدافع عن المقاومة من خلال السياسة، وابن العم إبراهيم، الذي يتبنى خيار المقاومة بلا هوادة، واستمرار العمليات المسلحة حتى تحقيق النصر على كامل تراب فلسطين. وهو بذلك، يستعين بالعقيدة كمحفز وأساس أفعاله. صفحات طويلة من الرواية، تظهر تأثر السنوار تدريجيا برؤية الحركات الإسلامية منذ بداياتها، من الدراسة الثانوية والجامعية، ثم اعتناق هذا الفكر لاحقا. وهذا ما ذكره في روايته لاحقا: "بدأنا نفهم أن للصراع وجه آخر لم نكن ندركه، فالمسألة لا تتعلق بأرض وشعب مطرود من بلاده، وإنما هي عقيدة ودين، معركة حضارة وتاريخ ووجود".

حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

دراسة في الفكر و التجربة

هذا كتاب أضاء حماس، من شتى جوانبها، بأقلام بعض قادتها، ومفكريها، ما أعطى الكتاب إضافة من التجربة العملية لمؤسسي الحركة.

في الفصل الأول من القسم الأول، غطّى د. محسن صالح ‘‘رصيد التجربة’’، بادئاً من خلفيات النشأة، منذ أن افتتحت الإخوان فروعا لها في فلسطين، سنة 1945، ثم الدور اللافت للمقاتلين الإخوان، من مصر، في حرب فلسطين الأولى، سنة 1948، والتي أبلى فيها الإخوان، بلاء حسنا، ما جعل النظام الملكي في مصر يعاقبهم! الأمر الذي وصل إلى حدّ قتل مرشدهم العام، حسن البنا، وحل الجماعة!

ما إن وقع الصدام الدامي لحكم تموز/ يوليو 1952 مع الإخوان، خريف 1954، حتى نزل إخوان قطاع غزة تحت الأرض، ولم يعُدِ يهمهم إحراج نظام تموز/ يوليو؛ فبدأوا أعمالا فدائية متواضعة، ضدّ ‘‘إسرائيل’’، منها ما نفذته الجماعة يوم 25/2/1955، بنسف عبّارة للإسرائيليين، قرب مدينة غزة، تسبّبت في عدوان إسرائيلي مسلح، على أطراف مدينة غزة، يوم 28 شباط/ فبراير، سقط فيه 39 شهيداً مصريا، وفلسطينيا، وسودانيا؛ ما تسبّب في اندلاع انتفاضة شعبية عارمة، ضدّ تقاعس حكم تموز/ يوليو في الدفاع عن قطاع غزة، ولم تتوقف الانتفاضة، إلا بعد أن قطع عبد الناصر وعدا، للجنة مثلت المنتفضين، بتحقيق مطالب الانتفاضة الثلاثة؛ إلغاء ‘‘مشروع سيناء’’ لتوطين اللاجئين، وتسليح القطاع، وتحصينه، وتدريب أهله، مع إشاعة الحريات الديموقراطية في القطاع. وقد قامت هذه الانتفاضة على أكتاف تحالف شيوعي – إخواني خاطف، ويتيم. وإذا كان عبد الناصر قد نفذ المطلبَيْن الأوّليْن، فإنه أغفل المطلب الثالث، وهو لم يحققه في مصر، على مدى 18 سنة من حكمه. بل إن عبد الناصر توسّع في تحقيق المطلب الثاني للانتفاضة؛ فأخرج من السجون المصرية نحو سبعمئة فلسطيني، سبق أن دانتهم المحاكم العسكرية المصرية بـ‘‘التسلل إلى وطنهم المحتل!’’ وشكل منهم ‘‘الكتيبة 141 فدائيون’’، وولى على رأسها البكباشي (المقدم) مصطفى حافظ، وهي الكتيبة التي أوقعت نحو 1,400 قتيل إسرائيلي، خلال بضعة أسابيع؛ فكانت على رأس دوافع ‘‘إسرائيل’’ لاشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر، وقطاع غزة، خريف 1956.

ما ذكرته هنا لم يشر إليه الصديق صالح، بينما كان ضمن أهم محدِّدات ظهور فصائل المقاومة الفلسطينية، في ستينيات القرن العشرين، وفي مقدمها فتح، التي خرجت فكرتها من الإخوان في قطاع غزة.

مع تراجع المقاومة ‘‘العلمانية’’، بخروجها من بيروت، صيف 1982، إلى المنافي العربية، تجلت ‘‘الصحوة الإسلامية’’، فبدأ الإخوان في قطاع غزة التحضير لخوض غمار العمل الفدائي؛ فكانت الجهاد الإسلامي، وحاول إخوان قطاع غزة البدء فيه، لكن الاحتلال أجهض التحضيرات، بعد أن أغار على مخازن سرية للأسلحة، واعتقل بعض قادة الإخوان هناك، وعلى رأسهم الشهيد الشيخ أحمد ياسين، ومعه القادة المحتملون للحركة الوليدة، وذلك صيف 1984، ولم يُفرج عن الشيخ ياسين إلا بعد نحو سنة، في صفقة تبادل أسرى، مع الجبهة الشعبية – القيادة العامة، حملت اسم ‘‘النورس’’ في أيار/ مايو 1985؛ ما أجّل ظهور حماس إلى ما بعد انطلاق انتفاضة الحجارة، أواخر سنة 1987. وأخذ نشاط حماس في الصعود المطرد، إلى أن كان إقدام صدام حسين على احتلال الكويت، صيف 1990، والتأييد المستهجن الذي ناله هذا العمل من رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، حينها.

حتى وصل عرفات إلى اتفاق أوسلو Oslo Accords، سيء الصيت، خريف 1993؛ ما أجهض الانتفاضة، مقابل وهم تسوية القضية الفلسطينية! لكن حماس ضبطت النفس، حتى إنها لم تنجر إلى صدامات مسلحة مع فتح. حتى صدم عرفات بجبهته، واكتشف بأنه لم يفلت من محاولات النظام السياسي العربي لإزاحته، عقاباً له على تأييده لصدام حسين، بل وقع عرفات تحت المقصلة الإسرائيلية؛ فتنبّه، متأخراً، إلى أن القضية الوطنية، نفسها، غدت تحت المقصلة؛ فكانت انتفاضة الأقصى 2000–2004، والتي خرج فيها عرفات عن قواعد اللعبة الإسرائيلية، فقتلوه؛ وقد كتب شمعون بيريز Shimon Peres، في اليوم التالي لوفاة عرفات، بأن الأخير سلك في كل الخطوات، وإن تلكأ في الخطوة الأخيرة! وكأن الجملة التي لم تكمل المعنى، تقول: ولهذا قتلناه!

عن ‘‘الرؤية السياسية لحماس’’ كان الفصل الثاني، وكتبه د. يوسف رزقة، مركزا على الدين، والدولة، والوطنية، والعلمانية، والديموقراطية، وسلطة الشعب، والتعددية السياسية، وحقوق الإنسان. بينما كان ميثاق حماس، الذي أعلنته الحركة، صيف 1988، في رأي كاتب هذه السطور، بعيدا كل البعد، عن السياسة، مغرقا في المصطلحات الدينية، حتى أن رزقة نفسه، لاحظ بأن اتفاق أوسلو، ودخول عرفات إلى غزة، بعد نحو عشرة أشهر من هذا الاتفاق، لم يدفعا حماس نحو السياسة، وبناء نظرية خاصة بها. (ص 65)

أما ‘‘رؤية حماس للآخر’’، فخُصِّص لها الفصل الثالث، وتولاه د. مصطفى أبو صُوَى، الذي تساءل عما إذا كان ثمة علاقة بين الصراع، وبين إيجاد الصور النمطية، حول جهة ما، أو انتشارها، وهل ذكر كيان ديني، أو عرقي، بطريقة سلبية، يُعدّ أمرا سَلبيا؟ ذلك أن ميثاق حماس تعامل مع اليهودية، وليس الصهيونية؛ الأمر الذي حوّل الميثاق، في رأي كاتب هذه السطور، إلى ورقة دينية، وليست رؤية سياسية.

ركّز الفصل الرابع على ‘‘موقف حماس من منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها’’، وكتبه د. أحمد سعيد نوفل؛ ود. محسن محمد صالح. وقد جاء في الميثاق إياه ‘‘منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية؛ ففيها إما الأخ، أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه، أو أخاه، أو قريبه، فوطننا واحد، ومصابنا واحد، ومصيرنا واحد، وعدونا مشترك’’. وإن أخذ الميثاق على منظمة التحرير تبنيها العلمانية؛ ‘‘المناهضة للفكرة الدينية، مناهضة عامة’’. بينما تقضي العلمانية بمجرد إبعاد سلطة رجال الدين عن الدولة، لذلك نرى رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan يؤكد بأن حزبه الإسلامي تصالح مع العلمانية. إلى أن وصلت حماس، بعد نحو عشرين سنة، إلى رأي مخالف، تماما، لرأي الميثاق. ولم تأخذ حماس على منظمة التحرير عدم أخذها بالإصلاح السياسي، أو المؤسسي، والديموقراطي، وأن يشارك الجميع في بناء المنظمة. وأن يُختار أعضاء المجلس الوطني بالانتخاب الحر، المباشر، وحين استعصت كل هذه الأمور، اضطرت حماس للحسم، في قطاع غزة، وهو حسم، وليس انقلابا، ذلك أن حماس كانت حازت على أغلبية في المجلس التشريعي، يُفترض أن تنتقل إليها زمام الأمور في السلطة، الأمر الذي لم تمكنها منه فتح، وأجهزتها الأمنية، وسال الدم، ما اضطر حماس للحسم، بدمٍ أقل.

لكن ماذا عن موقف حماس من الحركات الإسلامية الفلسطينية الأخرى؟ الأمر الذي عالجه الفصل الخامس، وكتبه سميح حموده. أما الحركات الإسلامية في فلسطين، فتشمل: حزب التحرير، والسلفيون، والصوفيون، وحركة الجهاد الإسلامي، مع تركيز حماس على العلاقة مع الجهاد، حيال متغيرات الساحتين، العربية، والدولية، أما المجال الثاني، فتمثل في تحليل الفكر السياسي لكل تلك الحركات، مع إلقاء الضوء على جذور العلاقة بينها جميعا، ومدى التباين الفكري بينها، بدءا من المتغيرات، العربية والدولية، ودورها في صعود تلك الحركات، إلى أسس موقف حماس من بقية الحركات الإسلامية. وخلص حموده من كل هذا، إلى أن التيار الإسلامي الوسطي يُمثل التيار الأكثر قوة، وانتشارا. وقد بنت حماس علاقاتها ببقية الحركات الإسلامية على قاعدة ‘‘التعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه’’. وهي قاعدة أرساها الشيخ رشيد رضا، قبل نحو قرن من الزمن.

بينما أولى الفصل السادس، الاهتمام بتعامل ‘‘حماس وعملية التسوية السلمية’’، وتولاه د. رائد نعيرات. ورأيي أن عنوان الفصل يشي بأن ما تمّ في أوسلو، قبل نحو ثلاثين سنة، كان ‘‘تسوية سلمية’’، بينما هو تفريط بمعظم فلسطين، وتصفية لقضيتنا الوطنية؛ حتى أن الشيخ الشهيد، أحمد ياسين، علق، من محبسه الإسرائيلي، على اتفاق أوسلو، قائلا: ‘‘من لا يستطيع الزواج لا يحل له الزنا!’’ أي أن حماس دانت اتفاق أوسلو، عند عقده، وإن لم تصادم فتح، بسببه، لذلك كان رفض حماس لمؤتمر مدريد Madrid Conference، الذي انعقد، قبل ذلك الاتفاق، بنحو سنتين، وواجهت حماس الموقف المستجد بتحالف ضمّ عشرة فصائل مقاومة (الفصائل العشر). والموقف نفسه اتخذته حماس، في مواجهة اتفاق القاهرة 1994، وحين اصطدم عرفات بواقع اتفاقات الإذعان، تمرّد عليها، لكن بعد فوات الأوان، وكانت انتفاضة الأقصى، منذ 28/9/2000، سببا كافيا لترطيب العلاقة بين فتح، وحماس. ثم دخلت حماس الانتخابات التشريعية سنة 2005، غداة اندحار الاحتلال الإسرائيلي، تماما، عن قطاع غزة، مكتفيا بخنق القطاع، وشعبه، واشترطت اللجنة الرباعية Quartet on the Middle East لاعترافها بحماس، أن تلتزم الأخيرة باتفاقات م.ت.ف.، ونبذ حماس العنف، واعترافها بالكيان الصهيوني، الأمور التي لم تحدُث.

أما ‘‘رؤية حماس للإصلاح السياسي والاجتماعي في فلسطين’’، فتولاه الفصل السابع، وعكف على كتابته د. حافظ الكرمي؛ بادئا بوصف حماس— حسب ميثاقها—بأنها ‘‘حركة جهادية... وهي جزء من حركة النهضة الإسلامية... وترى أن النهضة، والإصلاح، هما المدخل الأساسي لتحرير فلسطين’’. أما رؤية حماس لمفهوم ‘‘العمل السياسي’’؛ و‘‘الإصلاح السياسي’’، و‘‘إصلاح منظمة التحرير’’، و‘‘الإصلاح الاجتماعي’’، فقد بيّن الكرمي كيف سعت حماس إلى تحقيق رؤيتها هذه، على الرغم مما اعترضها من صعوبات، ومعوقات. وقد اعتمد الكاتب هنا على وثائق حماس، وكتابات، وتصريحات قادتها.

في الفصل الثامن، كتب د. عدنان أبو عامر عن ‘‘علاقات حركة حماس مع العالم العربي’’؛ بادئا بمحددات هذه العلاقات؛ التي تشمل الإتصال بمختلف الأطراف العربية، ورفض التدخل في الشؤون الداخلية، وتجنب معارك جانبية، مع أي طرف عربي، وحصر فلسطين ساحة للمقاومة المسلحة، والدعوة لوحدة الصف العربي، ورفض المحاور.

عن ‘‘المنطلقات العربية في العلاقة مع حماس’’، أعادها الكاتب إلى طبيعة كل نظام عربي، والقرب، أو البُعد، جغرافيا، عن فلسطين، مع التركيز على الرأي العام الشعبي، ومتابعة الضغوط، الأمريكية، والأوروبية، والتي تستهدف عمل حماس في تلك الساحة. وعلية، فقد تنوّعت المواقف العربية الرسمية، من حماس وتدرّجت.

لقد هدفت حماس من علاقاتها العربية إلى توسيع الاهتمام والمشاركة العربية في القضية الفلسطينية، وتأكيد حضور الحركة عربيا، ووضع الأطراف العربية في الصورة، مع الانفتاح السياسي والإعلامي، والعمل على اعتراف الدول العربية بالحركة. وقد استجدت لحماس مصالح مع الدول العربية، أهمها: الحفاظ على وتيرة الدعم، وتعزيز علاقتها مع دمشق، الأمر الذي انقلب، بعد ما أصاب سورية من بركات ‘‘الربيع العربي’’، الحرص على نيل حماس ‘‘الشرعية

العربية"، الأمر الذي ازداد استعصاءً، بعد تداعيات حرب الخليج الثانية 1990–1991، وانخراط دول عربية في التطبيع مع الكيان الصهيوني (يسميها الكاتب بـ"عملية التسوية"!)، واستغراق دول عربية في مشاكلها الداخلية المستفحلة، ووقوع دول عربية تحت نير الديون الغربية الثقيلة.

لقد واجهت حماس عقبات جمّة في هذا الطريق، أولاً مع الإرث، السياسي والتاريخي للإخوان المسلمين، والاعتراف العربي بشرعية منظمة التحرير، ومشاريع التصفية (التي يسميها الكاتب "مشاريع التسوية السلمية!")، والحملة الغربية على الحركات الإسلامية، وتفكيك علاقة حماس بإيران.

أما البُعد الشعبي في علاقات حماس العربية، فتمثل في الانفتاح على الجميع.

صحيح أن حماس لم تعِق المصالحة الفلسطينية، التي يسميها الحمساويون "المصالحة الوطنية"! وهو أعاد تعويق هذه المصالحة إلى العامل الخارجي، وعقدة البرامج السياسية، وأولويات أبو مازن السياسية. بينما لم تتوفر عوامل هذه الوحدة، بعد، في اعتقادي للتعارض الشديد بين برنامجَيْ حماس، وقيادة فتح.

أنهى أبو عمر فصله، مسهباً عن العلاقة مع ما أسماه "محور الممانعة": سورية، وإيران، وحزب الله.

تولى سامي خاطر متابعة "رؤية حماس لإدارة الصراع مع العدو الصهيوني"، في الفصل الخامس عشر، بدءاً من "الموجهات الأساسية في بلورة رؤية حماس"، و"رؤية حماس لإدارة الصراع".

بقي الفصل السادس عشر والأخير، عن "العلاقات الدولية لحركة حماس"، وتولاه أسامه حمدان، بادئاً بـ"أسس وضوابط علاقات حماس الخارجية"، و"المصاعب والتحديات الخارجية"، و"تطور نجاحات حماس وإخفاقاتها في علاقاتها الخارجية".

قبل أن يتوّج الكتاب بثماني عشر وثيقة، لا أدري لماذا لم تتضمن ميثاق حماس آب/ أغسطس 1988، حتى نرى كيف تخطته الممارسة، ما اضطر حماس إلى تطوير خطها السياسي، في "وثيقة المبادئ في السياسات العامة"، التي أعلنتها قيادة حماس، في مؤتمر صحفي في 1/5/2017.

وبعد، فنحن أمام كتاب موسوعي، ضمّ ستمئة وسبعين صفحة من القطع الكبير، يتميز قسمه الأول بدراسات لباحثين وأكاديميين متخصصين، ويتميز قسمه الثاني بأنه يُعرّف حماس بأقلام عدد من مؤسسيها وقادتها. ومع ذلك، فما زالت هناك حاجة لدراسات أخرى عن حماس من زوايا مختلفة، استكمالا للفائدة. أما قراءتي هذه لهذا الكتاب القيِّم، فهي "مجرد تصبيرة"، لم أقدم فيها كل ملاحظاتي على فكر وممارسة هذه الحركة المجاهدة، التي تعمل وسط حقل ألغام، من المحيط إلى الخليج.

أتي إلى المواقف الرسمية العربية من حماس، التي غالباً ما اتسمت بالودّ المفقود، ما عدا سورية، حتى اندلاع القلاقل فيها، مطلع سنة 2011، هنا خرجت الحركة على ما رصده الكاتب، ربما تجنبا لاختلاف يقع بين حماس، وفروع الإخوان الأخرى، في الوطن العربي.

أعتقد بأن حماس لم تُحسن التعامل مع ما يُسمى بـ"الربيع العربي"، الذي لم يكن إلا "الفوضى الخلاقة"، التي توعدتنا بها كونداليزا رايس Condoleezza Rice، وزيرة الخارجية الأمريكية، أوائل القرن الحالي. بعد ذلك، كانت "علاقات حماس الشعبية"، من مؤتمرات، وتجمّعات، عربية فوقية، وفي مواجهة التطبيع، ومحاولات كسر الحصار على قطاع غزة، وفي مجال العمل الخيري.

عن "حماس والعالم الإسلامي: تركيا وإيران نموذجا"، جاء الفصل التاسع، وتعهده د. طلال عتريسي، الذي لاحظ بأن منظمة التعاون الإسلامي لم تقم أي علاقة مع حماس؛ لأن الأولى مثلث أنظمة، دون شعوبها. بينما تعزّزت علاقة حماس بتركيا، بعد نجاح الأولى في الانتخابات التشريعية سنة 2006، بينما دأبت إيران على إعلان دعمها لحماس، وفي رفض مبدأ التفاهم بين الإسرائيليين، والفلسطينيين، وأعطت إيران صوتها للمقاومة، بينما أدارت ظهرها للكيان الصهيوني.

وصلت حماس إلى سدّة سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود، الأمر الذي غطاه الفصل العاشر، وأنجزه كل من د. اشتياق حسين، وبلال الشوبكي، ابتداء من السؤال عن مدى إمكانية انسجام الحركات الإسلامية، عند وصولها إلى الحكم، مع البنية الديموقراطية للأنظمة السياسية. وبدا السؤال مستهجنا، لأن السلطة الفلسطينية أشدّ من بقية أنظمة الحكم العربية استبدادا ودكتاتورية! أما وقد وصلت حماس إلى سدّة الحكم، في مناطق الحكم الإداري الذاتي المحدود، فإن هذا الوصول، سيتعارض مع مواصلة حماس للكفاح المسلح، فكيف عالجته؟ أم أنها أخفقت في هذا المجال؟!

بداية، بذلت حماس قصارى جهدها لإشراك بقية الفصائل الفلسطينية معها، في تشكيل الحكومة، فإذا كانت فتح قد استنكفت، فإن الجبهة الديموقراطية سارعت إلى إعلان رفضها المشاركة، وبقيت الجبهة الشعبية، التي وافق مكتبها السياسي، بأغلبية ضئيلة، على هذه المشاركة، وإن تحوّلت هذه الموافقة إلى رفض، على يدي مركزية الشعبية، أما الجهاد فإنها وضعت نفسها خارج الدائرة!

عالج الفصل، أيضاً، إشكاليات النظام السياسي الفلسطيني، وكيفية تعامل حماس معها، مع كل التحديات الذاتية والموضوعية، وقد واجهت حماس صعوبة ملحوظة في الجمع بين الحكم والمقاومة، ووُضعت العراقيل أمام محاولات حماس للإصلاح، وبصعوبة بالغة، نجحت حماس في الانتقال من ردّ الفعل إلى المبادرة، وقد رفضت حماس أن تخلع عنها ثوب المقاومة، فاستفحلت المقاطعة الدولية للحركة، إلى أن جاءت حكومة حمساوية خالصة، برئاسة الأخ إسماعيل هنية، فتوالت الحروب الإسرائيلية، ضدّ قطاع غزة، تدمّر المباني، فوق رؤوس ساكنيها، بينما توفر واشنطن الغطاء الدعاوي الدولي لـ"إسرائيل"، بالزعم بأن الكيان الصهيوني إنما يشن هذه الحروب بالأسلحة، والطائرات، والصواريخ الأمريكية، "دفاعا عن النفس!"

هذا كتاب أضاء حماس، من شتى جوانبها، بأقلام بعض قادتها، ومفكريها، ما أعطى الكتاب إضافة من التجربة العملية لمؤسسي الحركة.

جاء الدور في الفصل الحادي عشر، على "حماس في الدراسات والأدبيات الغربية"، وغطاه يوسف أبو السعود، حيث رآها البعض بمثابة "ميليشيا عسكرية محافظة"، بينما رآها بعض آخر "منظمة سياسية واقعية"، ما أثار الجدل، داخل حماس، وخارجها، حول ميثاق حماس، وإن رأى البعض حماس ضمن منظمات الإرهاب الدولي، بينما كل التشريعات الغربية، والدولية، تعطي صوتها لمقاتلة المحتل!

هنا، بدأت ديناميات جديدة، داخل حماس، وما حولها.

***

تولى القسم الثاني من الكتاب، تغطية "حماس كما يعبّر عنها قادتها"، بدءاً من خالد مشعل، ثاني رئيس مكتب سياسي لحماس، الذي أجرى تقييماً لتجربة حماس في السلطة، وفي محاولات إجراء المصالحة الوطنية، حيث توصّلت الحركة إلى تسع اتفاقات مصالحة، مع قيادة فتح، التي لم ترد الخروج على "الفيتو" الإسرائيلي على هذه المصالحة، ثم عرض مشعل لرؤية الحركة للقضية الفلسطينية، وفي مجال التطبيق، خصوصاً بعد ما يُسمى "الربيع العربي".

في الفصل الثالث عشر، تولى إسماعيل هنية قراءة حماس في الرؤية، وتجربة الحكم، يؤهله لذلك كونه أول رئيس حكومة، بعد نجاح حماس في الانتخابات، وآخر رئيس للمكتب السياسي لحماس، حتى الآن.

تحدث هنية عن ثوابت حماس، وعن قوتها، وتماسكها، وأولويات المشروع الوطني الفلسطيني، وتقييم النموذج المقاوم لحماس، وموقف حماس من اليهود، بعد أن كان ميثاق حماس تعامل معهم بطريقة، سرعان ما تركها قادة حماس. قبل أن ينتقل هنية إلى "الموقف من الاعتراف بالكيان الصهيوني، ومشروع التسوية السلمية، والحدّ الأدنى، الذي يمكن أن تقبل به حماس"، واستعصاء الإصلاح تحت الاحتلال، وتجربة الحكومة العاشرة، التي شكلتها حماس منفردة، قبل "تجربة حكومة الوحدة الوطنية"، ثم "تجربة حكومة تسيير الأعمال 2007–2013"، إلى "تقييم علاقات حماس مع فتح واليسار الفلسطيني".

عن "حماس: قراءة وتقييم للتجربة"، تولى د. موسى أبو مرزوق أمر الفصل الرابع عشر، وأبو مرزوق هو المؤهل لتغطيته، أكثر من غيره؛ فهو أول رئيس للمكتب السياسي لحماس، وهو ابن قطاع غزة، الذي ظهرت فيه حماس، وأبو مرزوق من ازداد خبرة سياسية في العمل الإخواني، بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم في المجال العربي، ما أكسبه خبرات سياسية واسعة، مع حفاظه على الأساس الدعوي للحركة.

رأى أبو مرزوق أن عناصر قوة حماس تكمن في: الشورى، والعمل المؤسسي التخصصي، وعدم الارتهان لسياسات خارجية، والفصل بين السلطات، واعتماد الانتخابات، والنقد، والتقييم المستمر، والتواصل بين القيادة، والقاعدة. أما أبرز عناصر القوة، فلعلها تمثلت في: التربية الداخلية، واللحمة التنظيمية، والمؤسسية، وشرعية القيادة.

انتقل أول قائد لحماس إلى "أولويات المشروع الوطني الفلسطيني في نظر حماس"، فموقف الحركة من اليهود، والصهيونية، والاعتراف بكيانها، ومشروع التسوية السلمية، والحدّ الأدنى، الذي يمكن أن تقبل به حماس.

عن "تجربة حماس في السلطة"، تحدث أبو مرزوق عن الجانب السياسي والاقتصادي، ثم الأمني، وأخيرا الاجتماعي والأخلاقي والحقوقي. قبل أن ينتقل إلى "تقييم علاقات حماس مع القوى الفلسطينية"، بدءاً من فتح، فالجهاد، قبل اليسار، متمثلا في الجبهتين الشعبية، والديموقراطية، متجاهلا حزب الشعب، لاستمراره في عضوية تنفيذية منظمة التحرير، غداة اتفاق أوسلو، التي انفرد هذا الحزب بالاعتراف بهذا الاتفاق، دونا عن كل القوى السياسية الفلسطينية!

على الرغم من الإدانة المضمّنة لممارسات رئاسة سلطة الحكم الإداري الذاتي المحدود، فإن أبو مرزوق يُصرّ على "التوافق والشراكة" مع هذه السلطة! صحيح أن حماس لم تعق المصالحة الفلسطينية، التي يسميها الحمساويون "المصالحة الوطنية"! وهو أعاد تعويق هذه المصالحة إلى العامل الخارجي، وعقدة البرامج السياسية، وأولويات أبو مازن السياسية. بينما لم تتوفر عوامل هذه الوحدة، بعد، في اعتقادي للتعارض الشديد بين برنامجَيْ حماس، وقيادة فتح.

أنهى أبو عمر فصله، مسهباً عن العلاقة مع ما أسماه "محور الممانعة": سورية، وإيران، وحزب الله.

تولى سامي خاطر متابعة "رؤية حماس لإدارة الصراع مع العدو الصهيوني"، في الفصل الخامس عشر، بدءاً من "الموجهات الأساسية في بلورة رؤية حماس"، و"رؤية حماس لإدارة الصراع".

بقي الفصل السادس عشر والأخير، عن "العلاقات الدولية لحركة حماس"، وتولاه أسامه حمدان، بادئاً بـ"أسس وضوابط علاقات حماس الخارجية"، و"المصاعب والتحديات الخارجية"، و"تطور نجاحات حماس وإخفاقاتها في علاقاتها الخارجية".

قبل أن يتوّج الكتاب بثماني عشر وثيقة، لا أدري لماذا لم تتضمن ميثاق حماس آب/ أغسطس 1988، حتى نرى كيف تخطته الممارسة، ما اضطر حماس إلى تطوير خطها السياسي، في "وثيقة المبادئ في السياسات العامة"، التي أعلنتها قيادة حماس، في مؤتمر صحفي في 1/5/2017.

وبعد، فنحن أمام كتاب موسوعي، ضمّ ستمئة وسبعين صفحة من القطع الكبير، يتميز قسمه الأول بدراسات لباحثين وأكاديميين متخصصين، ويتميز قسمه الثاني بأنه يُعرّف حماس بأقلام عدد من مؤسسيها وقادتها. ومع ذلك، فما زالت هناك حاجة لدراسات أخرى عن حماس من زوايا مختلفة، استكمالا للفائدة. أما قراءتي هذه لهذا الكتاب القيِّم، فهي "مجرد تصبيرة"، لم أقدم فيها كل ملاحظاتي على فكر وممارسة هذه الحركة المجاهدة، التي تعمل وسط حقل ألغام، من المحيط إلى الخليج

وكالة القبس للنشر الرقمي

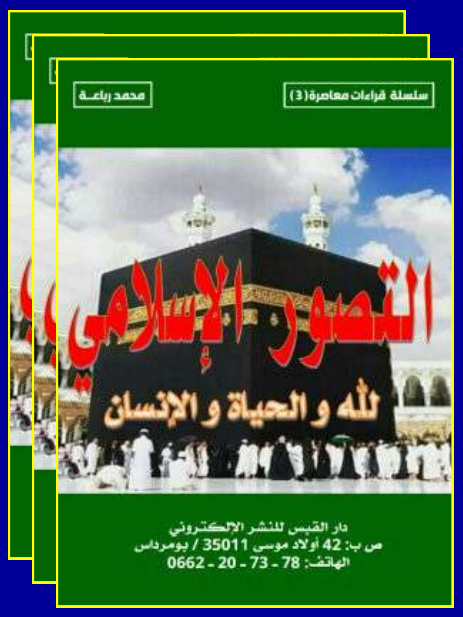

عقيدة المسلم المعاصر ، بشكل جديد و أسلوب بسيط ، تحليل عميق ، و تقديم جميل و أنيق لأهم عناصر و أبعاد العقيدة الإسلامية.

لأول مرة في الجزائر ، كتاب غير أكاديمي موجه للطلبة و الشباب المثقف ، يحلل ظاهرتي الحداثة و ما بعد الحداثة و يقد م موقف الإسلا م منهما .

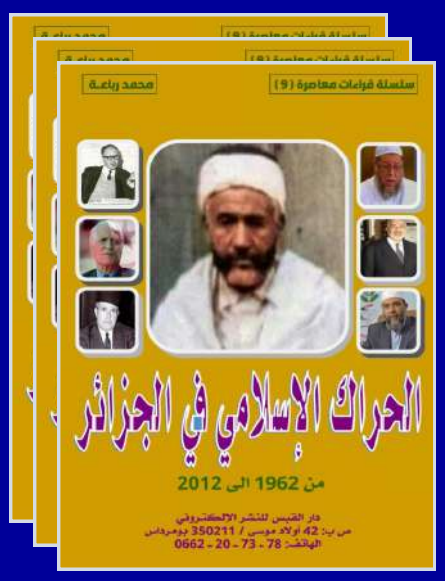

تاريخ موجز و مركز للحركة الإسلامية الجزائرية ، بعد الإستقلال ، بشقيها الرسمي و الشعبي .

الشهيد يحي السنوار

حالة إستثنائية في النضال الفلسطيني

بقلم: شرحبيل الغريب

القائد يحيى السنوار كان قائداً وطنياً استثنائياً في الحركة الوطنية الفلسطينية.
من بين الركام ومن أرض المعركة كانت تصدح أصوات الرجال، أسداً هصوراً، وقائداً مشتبكاً ثائراً، وفي استشهاده تحضر كلماته الخالدة التي كان يرددها دوماً في خطاباته المشهودة أثناء حديثه عن الشهادة بما حفظه عن الإمام علي رضي الله عنه:" أي يوم أفر من الموت، يوم لا يقدر أم يوم قدر ومن المقدور لا ينجو الحذر".
القائد يحيى السنوار، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، كنت قائداً وطنياً استثنائياً في الحركة الوطنية الفلسطينية، عشت قائداً عزيزاً لم تهادن ولم تساوم، أسقطت كل ادعاءاتهم وبرهنت بدمك الزكي أنك القائد المقدام، ارتقيت شهيداً وسقطت معك كل روايات المحتل الإسرائيلي، فلم تختبئ في ملجأ ولا نفق بل كنت في الميدان وقلب المعركة تتنقل بين العقد القتالية مقاوماً بسلاحك مستبسلاً بعزيمتك وإرادتك تحدد مسار المعركة ومستقبلها، في صفوفها الأولى، فلا احتميت بأسرى كدروع بشرية ولم تتحصن بين المدنيين. حقاً أبا إبراهيم أنت ارتقيت ونلت أسمى وأشرف ميتة، وهم سقطوا مصدومين مرجفين منهزمين.
في استشهاد القائد يحيى السنوار وقفات كثيرة، لعل من يعرف شخصيته عن قرب، يدرك أنه قائد إنسان حنون على شعبه كان يفكر ليل نهار في كيفيه رفع الظلم والاحتلال والحصار الإسرائيلي عن شعبه، وضع في سلم أولوياته منذ فوزه رئيساً لحركة حماس في قطاع غزة قبل سنوات، الثوابت الوطنية الفلسطينية على أجندته، فكان تحرير الأقصى حلماً يراوده وتحرير الأسرى أم الثوابت والأولويات، وجعل تطوير قدرات المقاومة ودعمها بكل السبل هدفاً إستراتيجياً له، ليس في حركة حماس فحسب بل لكل فصائل المقاومة الفلسطينية، أما الوحدة الوطنية الفلسطينية فكانت مرتكزاً وطنياً ثابتاً، إذ نجح في تجميع كل القوى الفلسطينية الحية حول نهج المقاومة وخيارها، وحرص أشد الحرص على تعزيز تحالفات حركته مع إيران وحزب الله وكل قوى محور المقاومة في المنطقة. فحق لقائد بهذه الصفات أن يختم مسيرته بشهادة لطالما تمناها.
مقدمة كان لا بد منها في حق قائد سياسي عسكري عرفته والتقيته مراراً في أكثر من محطة، ترك خلفه بصمات واضحة في كل الميادين، وتوج ذلك بتقديم كل مقدرات حركة حماس البشرية والمالية والعسكرية فداء للقدس وفلسطين يوم السابع من أكتوبر العام الماضي.
جسد القائد يحيى السنوار خلال مسيرته السياسية نموذجاً فريداً في تدعيم ركائز الوحدة الوطنية بين كل الفصائل الفلسطينية السياسية وفصائل المقاومة وتمتين العلاقات الوطنية بينها، كان لأقتاً حرصه الشديد على استكمال مشوار تحقيق المصالحة الفلسطينية، فلم يخل خطاب له من مفرداتها، عاش مؤمناً أن الحياة الحقيقية لشعبه لن تتحقق إلا بالمقاومة، وأن درب الحرية والكرامة محفوف دوماً بالتضحيات.

ترك القائد يحيى السنوار خلفه صورة حية رسخت في العقل الوطني الفلسطيني على مدار سنوات مضت من سيرته ومسيرته، فكانت استراتيجية الإيمان بالآخر وأهمية العمل الوطني الفلسطيني المشترك، سياسياً وإعلامياً وعسكرياً، من الثوابت والأولويات، فكانت غرفة العمليات المشتركة التي أنشئت في عهده ولم تكن عسكرية فحسب بل سياسية وإعلامية، وقد نجحت حماس في عهد القائد السنوار في تجسيد روح العمل الفلسطيني مع كل الفصائل الفلسطينية في المجالات كافة.

يدخل الشعب الفلسطيني وهو يخوض معركة "طوفان الأقصى" في عامها الثاني مرحلة جديدة عنوانها رفقاء السلاح ووحدة الدم والقرار والمصير بمشاركة كل الفصائل الفلسطينية من جهة ووحدة فصائل، وقوى المقاومة مع محورها وحلفائها في المنطقة من جهة أخرى، وهو ما كان السنوار حريصاً عليه طيلة فترة رئاسته المكتب السياسي لحماس عام 2017، ما عزز مسار الطريق الذي رسمه القائد السنوار بضرورة تعزيز خيار الوحدة الوطنية كخيار استراتيجي فلسطيني في مواجهة الصلف الإسرائيلي، واستمرار تعزيز العلاقات وتمتينها مع كل قوى محور المقاومة في المنطقة، وعلى رأسها حزب الله الذي يخوض المعركة جنباً إلى جنب مع حماس منذ الثامن من أكتوبر العام الماضي ومعه فصائل المقاومة اليمنية والعراقية.

سجل في عهد القائد السنوار قبل سنوات حسم حركة حماس خياراتها واصطفافها بشكل كامل مع محور المقاومة كرأس حربة للمقاومة في فلسطين، وعبر عن ذلك في أكثر من خطاب بأهمية تعزيز العلاقات وتمتينها مع محور القدس بلا سقف أو حدود، ليرسم بهذا الموقف خريطة تحالفات واضحة متينة تقف موقفاً موحداً في الهدف والمصير، وطنياً من جهة، ومع محور المقاومة من جهة أخرى.

لاقى هذا الاصطفاف انتقاداً عربياً من قوى حسمت خياراتها واصطفافاتها مع "إسرائيل" والمحور الأميركي، لكنه لم يؤثر في طبيعة قرارات رسمتها حماس في عهد القائد السنوار بالرد على هذه الانتقادات بمزيد من التحالف والتنسيق العالي والمشترك مع كل قوى محور المقاومة التي تبنت خيار المقاومة سبيلاً لتحرير فلسطين ونصرة المسجد الأقصى، مقابل دول هرولت نحو التطبيع مع "إسرائيل" وخذلت فلسطين وقضيتها.

في تقييم موجز وسريع لطبيعة العلاقات الفلسطينية الداخلية والخارجية، أجزم أن العلاقات الوطنية الفلسطينية بين حماس وكل القوى السياسية الفلسطينية وقوى المقاومة وصلت مرحلة متطورة، بل باتت اليوم تشكل مدرسة ستتناقلها الأجيال بل ستعمد إلى تطويرها والعمل في النهج ذاته الذي أرسى قواعده القائد السنوار، أما عن التحالفات مع محور المقاومة فأي قائد سيخلف السنوار سيكمل المسيرة والمشوار بمزيد من التحالفات مع قوى محور المقاومة، إذ أدركت حماس أن الأنظمة العربية الرسمية خذلت فلسطين ولم تنصرها، ووقفت متفرجة عاجزة عن الدفاع عن الفلسطينيين وعن دماء أريقت بدم بارد، في وقت ما زالت تمارس "إسرائيل" حرب إبادة جماعية بحق الأطفال والنساء، فيما لم يجد الشعب الفلسطيني سوى قوى محور المقاومة لتدافع عنه وتقدم الشهداء والقادة على طريق القدس ومن أجل القدس وفلسطين، فكما مضى القادة هنية ونصر الله والعاروري يمضي القائد السنوار في ساح المعركة، لتبقى ملحمة السابع من أكتوبر إلهاماً لكل المقاومين والقادة في المنطقة .

شرحبيل الغريب : كاتب فلسطيني

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

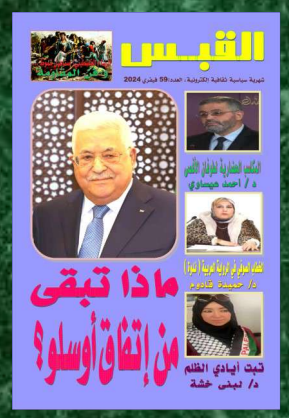

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

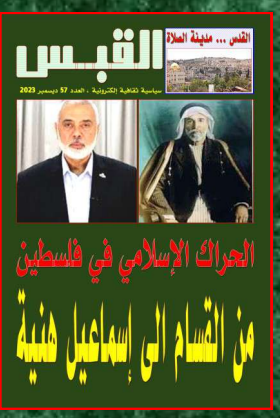

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

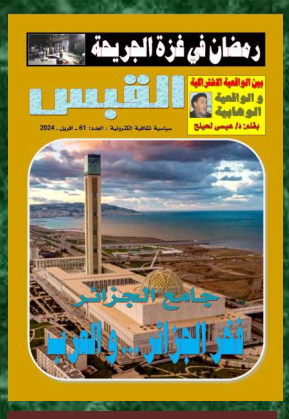

FOULABOOK.COM

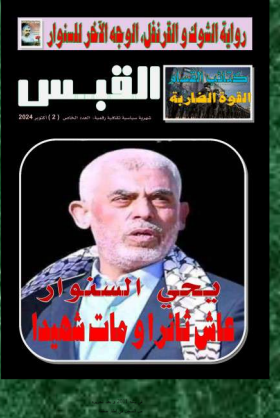

FOULABOOK.COM

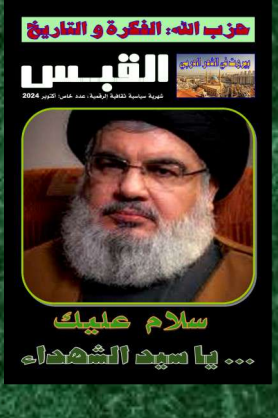

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM